السورة المنجية والمانعة من عذاب القبر

في ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح رحمهم الله تعالى

جمع وإعداد
وليد بن عيسى السعدون
غفر الله له ولوالديه ولأهله وذريته ولجميع المسلمين

دار القاسم

السورة المنجية والمانعة من عذاب القبر

في ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح - رحمهم الله تعالى -

جمع وإعداد:

العبد الفقير إلى عفو ربه - عز وجل -

وليد بن عيسى السعدون

غفر الله له ولوالديه وأهله وذريته وجميع المسلمين

دار القاسم

الرياض ١١٤٤٢ ص. ب ٦٣٧٣

ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

© دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعدون، وليد عيسى
السورة المنجية والمانعة من عذاب القبر./ وليد عيسى
السعدون. - الرياض، ١٤٣٠هـ
٧٥ ص ؛ ٢٤ سم
ردمك: ٦ - ٣٤٧ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١ - البرزخ ٢ - الوعظ والإرشاد أ - العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٣٠/٢٤٠٩

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٤٠٩
ردمك: ٦ - ٣٤٧ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر

جدة - هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام - هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة - هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط - هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:

فقد خَصَّ الله ـ عز وجل ـ هذه الأمة بنعمة عظيمة من نعمه التي لا تُحصى، وهي نعمة القرآن الكريم، الكتاب المعجز الخالد المحفوظ بحفظ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وخصَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعضاً من سور هذا الكتاب ببعض الفضائل والخصائص والمزايا التي تعود بالخير العميم على من يؤمن بها ويعمل بها، ومن هذه السور «سورة تبارك» التي قال عنها النبي ﷺ: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي: سورة تبارك الذي بيده الملك**»(١).

ولا ريب «أن سورة تبارك» على اسمها، ففيها من البركات والخيرات العميمة، والفضائل العظيمة، مايُحَفِّز كل مسلم ومسلمة إلى تعلمها وتدبرها، والعمل بما فيها، وحفظها وتلاوتها.

وقد وفقني الله ـ عز وجل ـ في جمع وإعداد مادة هذه الرسالة عن بعض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من فضائل ومزايا وبركات، فبدأت بذكر معلومات عامة عن هذه السورة، ثم بيَّنت أسماء السورة التوقيفية والاجتهادية، ثم ذكرت الأحاديث الثابتة التي وردت في فضلها، مع بيان الأحاديث الضعيفة الواردة في هذه السورة.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، حديث: ٢٨٩١، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ٢٨٩١.

ولما كانت أهم فضيلة خُصَّت بها هذه السورة الكريمة من أنها المنجية والمانعة من عذاب القبر لمن آمن بها، وعمل بها، وداوم على تلاوتها كل يوم بتدبر، ـ كما سيأتي بيانه بإذن الله ـ تعالى ـ، فقد بيَّنت عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب ونعيم القبر، ثم بيَّنت الأسباب المُوجبة لعذاب القبر، وذلك للتحذير منها واجتنابها، وكذلك بيَّنت الأسباب المُوجبة للنجاة من عذاب القبر، ترغيباً بها وبالمداومة على فعلها، ومنها تلاوة سورة تبارك والعمل بها.

ثم شرعت في تفسير الآيات، ببيان معاني مفرداتها، ومعناها الإجمالي، ثم ذكرت أقوال المفسرين، ثم ذكرت بعض ما في هذه الآيات من الهداية والدروس بإيجاز، وتتميماً للفائدة ذكرت الجوانب البلاغية في هذه الآيات، وذكرت أخيراً ما ورد في هذه السورة من وجوه القراءات.

وينبغي على كل مسلم ومسلمة تَعَلُّم هذه السورة العظيمة، وتعليمها للأهل والأولاد والأقارب والجيران ومن يستطيع من المسلمين والتمسُّك بها، فمن تمسَّك بها فقد تمسَّك بأعظم سبب من أسباب النجاة من عذاب القبر، وحُقَّ لكل من تأمَّل في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في وصف القبر، وما فيه من عذاب وفزع وضيق ووحشة وظُلمة، أن يخاف على نفسه، وأن يبحث بحث الغريق عن أسباب النجاة من عذاب القبر، فإذا علم أن سورة «تبارك» هي بإذن الله ـ تعالى ـ المُنجية من عذاب القبر، فله أن يتمسَّك بها تمسُّك الغريق، ويقبل عليها تعلماً وفهماً وعملاً بما فيها، ويداوم على تلاوتها كل يوم بتدبر وخشوع.

أسأل الله الرؤوف الرحيم الودود الغفور أن يُنَجِّيني ووالديَّ وأهلي وذريتي، وجميع المسلمين والمسلمات من عذاب القبر، وأن ينفع بما احتوته هذه الرسالة ويبارك فيها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وفي ميزان حسناتي وحسنات والديَّ ووالديهم وجميع أهلي، وذريتي، إنه وليُّ ذلك

والقـــادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وســـلم وبارك على نبينا وســـيدنا محمد وعلى آله الطيبين، وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

كتبه
العبد الفقير إلى عفو ربه ـ عز وجل ـ
وليد بن عيسى السعدون
فاكس: ٤٩٥٥٨٦٥ ـ ٠١ الرياض
البريد الإلكتروني: Walsaadoun@gmail.com

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بين يدي السورة

١ ـ نوع السورة:

سورة تبارك سورة مكية بالإجماع[١].

٢ ـ ترتيب نزول السورة:

قيل: نزلت بعد سورة «المؤمنون»[٢]. وقيل: نزلت بعد سورة الطور[٣].

٣ ـ ترتيبها في المصحف العثماني:

هي السورة السابعة والستون (٦٧)، وقد جاءت بعد سورة التحريم.

٤ ـ موقع السورة من أجزاء القرآن الكريم:

تأتي سورة تبارك في أول الحزب السابع والخمسين (٥٧)، وهي في بداية الجزء التاسع والعشرين (٢٩).

٥ ـ ترتيب السورة بالأطول في القرآن الكريم:

وهي السورة الستون(٦٠) من حيث الطول بين سور القرآن الكريم.

٦ ـ طول السورة بالأرباع:

وطولها بالأرباع ربع حزب واحد[٤].

---

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٨/ ٣١٨ . وانظر: المحرر الوجيز ، ابن عطية الأندلسي ص١٨٧٦ . وانظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ، ١/ ٤٧٣ . وانظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرحي، ص٢٧٨ .

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٧٣ .

(٣) انظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٤٣ . وانظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرحي، ص٢٧٨ . وانظر: النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، ص٣٢٢ .

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣ . وانظر: دليل القرآن الكريم ، مصطفى محمود أبو صالح، ص١١٨ .

٧ ـ السورة محكمة:

فلا ناسخ فيها ولا منسوخ[١].

٨ ـ السورة من المُفَصَّل:

وهي من طوال المفصل، قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: «للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن ـ رحمه الله ـ: «فطواله إلى عمّ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره»[٢].

٩ ـ عدد آيات السورة:

قال العلاَّمة الفيروزآبادي ـ رحمه الله تعالى ـ: «آياتها ثلاثون (٣٠) آية عند الجمهور، وإحدى وثلاثون (٣١) آية عند المكيين»[٣].

قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: «آياتها ثلاثون، وقيل: إحدى وثلاثون بِعَدِّ: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٩].

قال الموصلي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والصحيح الأول».

وقال ابن شنبوذ ـ رحمه الله تعالى ـ: ولا يسوغ لأحد خلافه للأخبار الواردة في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**»[٤][٥].

١٠ ـ عدد كلمات السورة:

عدد كلمات سورة تبارك ثلاثمائةٌ وخمس وثلاثون (٣٣٥) كلمةً[٦].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٤.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ١٨٠ـ ١٨١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٣.

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ١٩٤

(٦) غرائب القرآن، النيسابوري، ٣/ ٢٩.

١١ ـ عدد حروف السورة:

عدد حروفها ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر (١٣١٣) حرفاً[١].

١٢ ـ عدد سطور السورة:

تقع السورة في كتاب الله ـ عز وجل ـ في اثنتين وثلاثين (٣٢) سطراً.

١٣ ـ ورود لفظ الجلالة (الله) في السورة:

ورد لفظ الجلالة (الله) في هذه السورة ثلاث (٣) مرات في الآيات التالية:

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الآية: ٩]، وقال الله جل جلاله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦﴾ [الآية: ٢٦]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الآية: ٢٨].

١٤ ـ ورود لفظ (الرحمن) في السورة:

ورد لفظ الرحمن في هذه السورة أربع (٤) مرات في الآيات التالية:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الآية: ٣]، وقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾ [الآية: ١٩]، وقال الله جل جلاله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝٢٠﴾ [الآية: ٢٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٩﴾ [الآية: ٢٩].

---

(١) غرائب القرآن، النيسابوري، ٣/ ٢٩.

١٥ ـ رؤوس الآيات في السورة:

القدير (١)، الغفور(٢)، فُطُور (٣)، حَسير(٤)، السعير(٥)، المصير(٦)، تفور (٧)، نذير (٨)، كبير (٩)، السعير (١٠)، السعير (١١)، كبير (١٢)، الصدور (١٣)، الخبير (١٤)، النشور (١٥)، تَمُور (١٦)، نذير (١٧)، نَكير (١٨)، بصير (١٩)، غرور (٢٠)، نُفُور (٢١)، مستقيم (٢٢)، تَشْكُرُون (٢٣)، تُحشرون (٢٤)، صادقين (٢٥)، مُبين (٢٦)، تدَّعون (٢٧)، أليم (٢٨)، مُبين (٢٩)، مَعِين (٣٠).

١٦ ـ أول آية وآخر آية في السورة:

أول آية في السورة قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الآية: ١].

وآخر آية في السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ [الآية: ٣٠].

١٧ ـ مدغمها وياءات الزوائد فيها:

مدغمها الكبير ستة (٦)، ومدغمها الصغير ثلاثة (٣)، وياءات الزوائد اثنتان (٢)[١].

١٨ ـ مناسبة السورة لما قبلها:

قال العلاَّمة الآلوسي ـ رحمه الله تعالى ـ: «ووجه مناسبتها لما قبلها ـ في سورة التحريم ـ أنه ـ تعالى ـ لما ضرب مثلاً للكفار بالمرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيين عظيمين، ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وإن كان أكثر قومهما كفار، افتتح الله ـ تعالى ـ هذه السورة بما يدل على إحاطته ـ عز وجل ـ وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه[٢].

---

(١) انظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، ص٢٧٨.

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، ٥/ ٢٩.

فاتصل سياقها بما ختمت به السورة التي قبلها سورة التحريم من ترهيب المخالفين وترغيبهم، وهذا هو وجه المناسبة بين السورتين(١).

وهناك مناسبة أخرى، فقد ختمت السورة السابقة «سورة التحريم» بقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢]، وفتحت هذه السورة بالثناء على الله ـ تعالى ـ بإثبات كماله، وعموم قدرته، ردّاً لما يدعيه النصارى في مريم من تجسّد الله بها ـ تعالى الله عز وجل عما يقولون ـ، وبياناً لأن حملها بنفخ جبريل في فرجها أثر من آثار قدرته ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الآية: ١]. فعبارة ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ تفيد استحالة اتصال الله ـ عز وجل ـ ببعض مملوكاته بتجسّد أو حلول أو اتحاد، وصفة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الآية: ٢] تؤكد تلك الاستحالة؛ لأنه إذا كان خالق الموت والحياة الذين لا يخلو منهما مخلوق فكيف يتصل بمن هو عرضة للموت في كل لحظة؟! هذا مما تردّه العقول وتأباه، وهذه مناسبة واضحة(٢).

١٩ ـ أهداف السورة ومقاصدها:

سورة تبارك شأنها شأن باقي السور المكية التي تعالج موضوع العقيدة في أصوله الكبرى، ومن الأهداف الرئيسة التي احتوتها هذه السورة ما يلي:

١ ـ ابتدأت السورة بتمجيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتقرير ربوبيته ـ عز وجل ـ بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فهو ـ سبحانه ـ الملك المهيمن على الخلق وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد والإحياء والإماتة، ثم تحدثت عن خلق السموات السبع وخلق الكواكب والنجوم، وإثبات كمال علمه ـ تبارك وتعالى ـ، وأنه وحده الرزاق، وغيرها من دلائل

(١) انظر: النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، ص٣٢٢.

(٢) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص ١١٨.

ربوبيته وقدرته، والموجبة لألوهيته، أي عبادته وحده لا شريك له.

٢ ـ تناولت السورة الحديث عن وصف جهنم وهيئتها وخزنتها، وعن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى وتكاد تنقطع من شدة الغضب والغيظ على أعداء الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وقارنت بين حال الكافرين والمؤمنين.

٣ ـ ساقت السورة بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله ـ عز وجل ـ وقدرته، والتذكير بأفضال الله ـ عز وجل ـ ونعمه على الناس، وحذّرت من عذابه وسخطه أن يَحلَّ بأولئك الكفرة الجاحدين.

٤ ـ خُتمت السورة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسول ﷺ من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا فيه يتمنون فيه موت الرسول ﷺ وهلاك المؤمنين(١).

٢٠ ـ سبب نزول بعض الآيات في السورة:

* سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: «أسرُّوا قولكم؛ لأن لا يسمع إله محمد»(٢).

* سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ رُوي أنَّ كفار مكة كانوا يدعون على محمد ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بالهلاك فنزلت هذه الآية(٣).

---

(١) انظر أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، ص٤٦٢.

(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة، وهبة الزحيلي وزملاؤه، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ١٨٨١، والموسوعة القرآنية الميسرة، وهبة الزحيلي وزملاؤه، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

٢٢ ـ فاتحة السورة وخاتمتها:

فاتحة سورة الملك مثل خاتمتها في الحسن والمعاني البديعة ـ شأنها كشأن سور القرآن الكريم ـ، قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: «خواتم السور مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوّق إلى ما يُذكر بعد»(٢).

وقد افتتحت السورة بذكر الموت المخلوق كالحياة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الآية: ٣].

واختتمت بالتهديد بتسليط الموت على المعاندين العصاة، بسلب قوام الحياة: الماء، قال عَزَّ من قائل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ [الآية: ٣٠]، فالماء هو الذي به تقوم الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٣٢٠.

المبحث الأول:
أسماء سورة الملك

تمهيد: سورة تبارك لها أكثر من اسم، وذلك يدل على فضلها وشرفها، فإن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسَمَّى وفضله، وأسماؤها إما أن تكون توقيفية وهي التي ثبتت تسميتها عن النبي ﷺ، أو تكون اجتهادية وهي التي من وضع بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو من استنباط العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ.

قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر، ومن ذلك سورة تبارك»[1].

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ١٥٠ ـ ١٥١ ، ١٥٨.

المطلب الأول:
أسماؤها التوقيفية

الاسم الأول: [سورة الملك]:

اشتهرت تسمية هذه السورة بسورة «الملك»، وبذلك سُمِّيت في أكثر المصاحف، وفي كتب التفسير[١]، كما ترجم لها علماء الحديث ومنهم: الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه في كتاب التفسير، باب «سورة الملك»[٢]، والترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ في جامعه[٣]، في كتاب «فضائل القرآن»، باب «ما جاء في فضل سورة الملك»، والحاكم ـ رحمه الله تعالى ـ في مستدركه[٤]في كتاب «التفسير»، باب «تفسير سورة الملك».

ومن الآثار التي جاءت بتسميتها بهذا اللفظ، حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: **«يُؤتى الرجل في قبره فتُؤتى رجلاه، فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قِبلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يُؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يُؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب»**[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ٤/ ٩٥، وتفسير البغوي، الحسين بن سعود البغوي، ٤/ ٣٦٩، وتفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ٧/ ٣٦٠، وزاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن ابن علي الجوزي، ٨/ ٣١٨.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ص ٩٠١.

(٣) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، أبو عيسى الترمذي، ص ٧٧١.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملك، ٣/ ٣٢٢.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملك، حديث: ٣٨٩٢، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، حديث: ٦٠٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

وفي رواية: «**يُؤتى الرجل في قبره، فيؤتى رجلاه فيقولان: ليس لكم على ما قِبَلَنَا من سبيل، كان يقرأ علينا سورة الملك، ثم يُؤتى جوفه فيقول: ليس لكم عليَّ سبيل، قد كان وعى فيَّ سورة الملك، ثم يُؤتى من رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ فيَّ سورة الملك. قال عبدالله: فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة، هذه سورة الملك من قرأها في ليلة أكثر وأطيب**»[(١)].

*** وجه التسمية:**

جاء في تفسير القاسمي ـ رحمه الله تعالى ـ: «قال المهايمي ـ رحمه الله تعالى ـ: سُمِّيَتْ به لاشتمالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء، والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة والغفران، ورفع الأبنية لخدامه، وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن، ورخص الأسعار، وأن لا يقدر أحد على نصر من عاداه، ولاعلى رزق من منعه»[(٢)].

الاسم الثاني: [سورة تبارك]:

وقد وردت هذه التسمية عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»[(٣)].

وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ٨٦٥١، ٩/ ١٣١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧١): رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) تفسير القاسمي، محمد بن جمال الدين القاسمي، ٩/ ٢٨٤.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين، ٤/ ٢٦٤، والشجري في الأمالي، ١/ ١٢٢، من طريق سفيان بن عاصم عن زرٍّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ١٣١، حديث رقم: ١١٤٠.

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الصغير، حديث رقم: ٤٩٠، ١/ ٢٩٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: ٣٦٤٤.

وقد ذكر هذه التسمية الإمامان الآلوسي[١] والقاسمي[٢] ـ رحمهما الله تعالى ـ في تفسيرهما.

*** وجه التسمية:**

سُمِّيت سورة «تبارك» لافتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الآية: ١]، ولم تنفرد هذه السورة بافتتاحها بهذا اللفظ، فقد افتتحت به سورة أخرى وهي سورة الفرقان بلفظ «تبارك» في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]. ولكن غلب هذا الاسم على سورة الملك، واشتهرت به كما ورد في حديث الرسول ﷺ[٣].

الاسم الثالث: [سورة تبارك الذي بيده الملك]:

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذه التسمية لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**»[٤]، وعن جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ «ألم تنزيل»، و«تبارك الذي بيده الملك»[٥].

*** وجه التسمية:**

وسُمِّيت سورة «تبارك الذي بيده الملك» لافتتاحها بأول جملة وقعت في أول آية كريمة وهي قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[٦].

---

(١) روح المعاني، محمود الآلوسي، ٥/ ٢٩-٣٠.

(٢) تفسير القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، ٩/ ٢٨٤.

(٣) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد الدوسري، ص٤٦٤.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة تبارك، حديث: ٢٨٩٧، وصححه الألباني في سنن الترمذي، حديث: ٢٨٩٢.

(٦) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة بنت محمد الدوسري، ص٤٦٦.

الاسم الرابع: [سورة المُنجية]:

وردت تسميتها بـ (المُنجية) عن رسول الله ﷺ وأصحابه كما في الحديث الذي رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خبَاءَهُ على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني ضربتُ خِبَائِي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة: «تبارك الملك» حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: **«هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»**[(١)].

وذكر هذا الاسم كثير من المفسرين كالزمخشري[(٢)]، والرازي[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، وأبي السعود[(٥)]، والشوكاني[(٦)]، والآلوسي[(٧)]، والفيروزآبادي[(٨)] ـ رحمهم الله تعالى ـ.

*** وجه التسمية:**

علَّل المفسرون ـ رحمهم الله تعالى ـ تسميتها بهذا الاسم، لأنها تُنجِّي قارئها من عذاب القبر[(٩)].

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ١٢٨٠١، ١٢/ ١٤٧، والحديث ضعفه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وقال: وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة»، حديث رقم: ٢٨٩٠.

(٢) الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، ٦/ ١٦٩.

(٣) التفسير الكبير، الإمام الرازي، ١٠/ ٥٧٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٨٠.

(٥) تفسير أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ٦/ ٢٧٢.

(٦) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٥/ ٢٥٧.

(٧) روح المعاني، محمود الآلوسي، ٥/ ٢٩ـ٣٠.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣.

(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣. وانظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة بنت محمد الدوسري، ص٤٦٦.

الاسم الخامس: [سورة المانعة]:

سُمِّيت سورة «المانعة» أخذاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»[١]، ولحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: «**من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر**»، «وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب»[٢].

وقد أورد هذه التسمية بعض المفسرين كابن الجوزي[٣]، والآلوسي[٤]، وذكرها السيوطي[٥]، والفيروزآبادي[٦] ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وجاء في كتاب جمال القراء تسميتها بـ «المنَّاعة» بصيغة المبالغة[٧].

*** وجه التسمية:**

وجه تسميتها بهذا الاسم؛ لأنها تمنع عن قارئها عذاب القبر[٨]، وعقَّب البقاعي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد إيراد الأسماء الثلاثة للسورة «الواقية، والمنجية، والمانعة» بقوله: «لأن من لزمها نجا مِمَّا يخاف، ومُنِعَ عن كل هول، ووُقِيَ كل محذور»[٩].

---

(١) سبق تخريجه ص ١٦.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم: ١٠٥٤٧، ٦/ ١٧٩، والطبراني في المعجم الكبير، حديث: ١٠٢٤٥، ١٠/ ١٤٢.

(٣) زاد المسير، عبد الرحمن علي الجوزي، ٨/ ٣١٨.

(٤) روح المعاني، محمود الآلوسي ص٢٩-٣٠.

(٥) الدر المنثور، السيوطي، ٨/ ٢١٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣.

(٧) جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، ١/ ٣٨.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣

(٩) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، ٢٠/ ٢١٦.

المطلب الثاني:
أسماؤها الاجتهادية

الاسم الأول: [سورة تبارك الملك]:

وقد سُمِّيت هذه السورة بمجموع الكلمتين: «تبارك الملك»، كما جاءت في كلام ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «نزلت بمكة تبارك الملك»[١].

ولم يُذكر عن أحد من المفسرين من سماها بهذا الاسم[٢].

*** وجه التسمية:**

ولعلَّ وجه تسميتها بذلك أخذاً من أول آية كريمة فيها، وهي قول الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

الاسم الثاني: [سورة الواقية]:

وسُمِّيت هذه السورة بـ(الواقية)، وقد سمَّاها بذلك الاسم كثير من المفسرين كالزمخشري[٣]، والقرطبي[٤]، والنسفي[٥]، وأبي السعود[٦]، والشوكاني[٧]، والسيوطي[٨] نقلاً عن السخاوي[٩]، والآلوسي[١٠] ـ رحمهم الله تعالى ـ.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ٨/ ٢١٥.

(٢) أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة بنت محمد الدوسري، ص ٤٦٧.

(٣) الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، ٦/ ١٦٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ١٨/ ١٨٠.

(٥) تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد النسفي، ص١٢٦١.

(٦) تفسير أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي، ٦/ ٢٧٢.

(٧) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٥/ ٢٥٧.

(٨) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١/ ١٥٩.

(٩) جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، ١/ ٣٨.

(١٠) روح المعاني، الآلوسي، ٥/ ٢٩-٣٠.

*** وجه التسمية:**

ووجه تسميتها بذلك، لأنها تقي قارئها من عذاب القبر[١].

الاسم الثالث: [سورة المجادلة]:

وقد سمَّاها بـ (المجادلة) ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد جاء في أثر أنه قال لرجل: أَلَا أُتْحِفُكَ بحديث تفرح به؟ قال: بلى! قال: إقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وعلِّمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**»[٢]، وفي رواية عند الطبراني: «**لودِدْتُ أنها في قلب كل إنسان من أمتي ـ يعني ـ** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[٣]، وأورد هذه التسمية عدد من المفسرين كالفخر الرازي[٤]، والآلوسي[٥]، كما ذكرها الفيروزآبادي ـ رحمهم الله تعالى ـ[٦].

*** وجه التسمية:**

ووجه تسميتها بهذا الاسم لأنها تجادل منكراً ونكيراً، فتناظرهما كي لا يؤذيا قارئها[٧].

---

(١) تفسير النسفي، النسفي، ص١٢٦١.

(٢) أورده السيوطي بهذا اللفظ في الدر المنثور ٨/ ٢١٦ وعزاه لعبد بن حميد في مسنده، حديث: ٦٠٣، ١/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١١/ ٣٤١، حديث: ١١٦١٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو ضعيف، ٧/ ٢٧٠، حديث: ١١٤٢٩.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، ١٠/ ٥٧٧.

(٥) روح المعاني، محمود الآلوسي، ٢٩/ ٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣.

(٧) انظر: بصائر ذوي التميز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣.

وقد ذكر الفيروزآبادي ـ رحمه الله تعالى ـ[1] أسماء أخرى لهذه السورة منها:

١ ـ **الدافعة**: وعلَّلَ تسميتها بهذه التسمية، لأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها.

٢ ـ **الشافعة**: وعلَّلَ تسميتها، لأنها تشفع في يوم القيامة لقارئها.

٣ ـ **المُخَلّصَة**: وعلَّلَ تسميتها، لأنها تخاصم زبانية جهنم، لئلا يكون لهم يدٌ على قارئها. وقد تفرَّد الفيروزآبادي بذكر هذه الأسماء ولم يذكر مستنداً يدل عليها[2].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التميز، الفيروزآبادي، ١/ ٤٧٣

(٢) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة بنت محمد الدوسري، ص٤٧١.

المبحث الثاني: فضائل سورة الملك

المطلب الأول:

الأحاديث النبوية الثابتة الواردة في فضل سورة الملك

لا ريب أَنَّ في هذه السورة الكريمة من البركات والفضائل العظيمة، ما يبعث همَّة وعزيمة كل مسلم ومسلمة إلى تعلمها، وفهمها، والعمل بها، وقراءتها كل يوم، فقد كان من هدي النبي ﷺ قراءة سورة تبارك كل يوم، فكان ﷺ لا ينام حتى يقرأها، كما دلَّ على ذلك حديث جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[(١)].

وينبغي على كل مسلم بعد تعلم هذه السورة المباركة أن يُعَلِّمها لأهله وأولاده وجيرانه ومن يستطيع من المسلمين؛ لتَعُمَّ بركات هذه السورة العظيمة، وخيراتها الكريمة، والنبي ﷺ يقول: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[(٢)].

ويقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجورمن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...**»[(٣)].

ويمكن القول أن من فضائل هذه السورة المباركة ما يكون في القبر وما يكون يوم القيامة، وذلك على النحو التالي:

---

(١) سبق تخريج الحديث، انظر: ص١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث: ٥٠٢٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث: ٢٦٧٤.

أ ـ فضائلها في القبر:

يكفي فضلاً لهذه السورة الكريمة أنها المنجية ـ بإذن الله تعالى ـ من عذاب القبر لمن آمن بها، وعمل بمقتضاها، وداوم على تلاوتها كل يوم بتدبُّر، ومما يدلُّ على هذا الفضل العظيم حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»(١).

وكذلك قوله رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُسَمِّيها في عهد رسول الله ﷺ المانعة، وإنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطيب»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: «**يُؤتى الرجلُ في قبره فتُؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قِبَلي سبيلٌ، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يُؤتى من قبل صدره أو قال: بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يُؤتى رأسُه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيلٌ، كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب**»(٣).

ب ـ فضائلها يوم القيامة:

وأيضاً لهذه السورة المباركة فضلٌ عظيم يوم القيامة، فقد جعلها الله ـ عز وجل ـ سبباً في مغفرة ذنوب قارئها والمحافظ على تلاوتها، بل إنها تُحاج وتدافع عن صاحبها، وتشفع له عند الله ـ عز وجل ـ حتى تدخله الجنة بفضل الله ـ تعالى ـ ورحمته، ويدل على هذا الفضل العظيم الحديثين الشريفين التاليين:

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث: ١٠٢٥٤، (١٠/١٤٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملك، حديث: ٣٨٩٢، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

١ ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن سورةً من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي سورة** ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»[١].

ومعنى قوله: «**شفعت لرجل حتى غُفِرَ له**» يُحتمل أن يكون بمعنى المضي في الخبر، يعني: كان رجل يقرؤها ويعظم قدرها، فلما مات شفعت له حتى دفع عنه عذابه، ويحتمل أن يكون بمعنى المستقبل، أي: تشفع لمن يقرؤها في القبر أو يوم القيامة[٢].

والتعبير بالماضي «**شفعت**» لإفادة تحقق الوقوع ترغيباً فيها، وقد أفاد الحديث فضل سورة الملك والحض على فضلها وتلاوتها وأنها تشفع لقارئها حتى يُغفر له[٣].

وفي رواية عند أبي داود: «**سورة ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غُفِرَ له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**»[٤].

ومعنى قوله: «**تشفع لصاحبها**» أي: لمن يقرؤها، في القبر أو يوم القيامة[٥].

٢ ـ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سورة في القرآن ما هي إلا ثلاثون آيةً خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك**»[٦].

ومعنى قوله: «**خاصمت**» أي: حاجَّت ودافعت، «**عن صاحبها**» أي: قارئها المداوم لتلاوتها بتدبُّر وتأمُّل واعتبار وتبصُّر، «**حتى أدخلته الجنة**» بعد

---

(١) سبق تخريجه، ص ٣ .

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٨/ ١٦٢ .

(٣) انظر: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن، د. مصطفى البغا، ٢/ ٧٥٦ .

(٤) أخرجه أبوداد، كتاب الصلاة، باب (في عدد لآي، حديث: ١٤٠٠، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ١٤٠٠ .

(٥) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ٤/ ١٩٤ .

(٦) سبق تخريجه ص ١٦ .

ما كان ممنوعاً من دخولها لما اقترفه من الذنوب[١].

متى تقرأ سورة تبارك؟

لقد عَنِيَ الرسولُ ﷺ بسورة الملك عنايةً فائقة، وكان من هديه ﷺ قراءتها كل يوم، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا ينام حتى يقرأها، وقد دلَّ على ذلك حديث جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ «ألم تنزيل»، و«تبارك الذي بيده الملك»[٢].

ومعنى الحديث: «لم يكن من عادته ﷺ النوم قبل القراءة، فتقع القراءة قبل دخول وقت النوم أي وقت كان»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب»[٤].

وقال العلاّمة الآلوسي ـ رحمه الله تعالى ـ: «يُندب قراءتها كل ليلة»[٥].

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٤/ ١٥٢.

(٢) سبق تخريجه، ص ١٧ .

(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٩/ ٢٤٧.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم : ١٠٥٤٧، ٦/ ١٧٩، والطبراني في المعجم الكبير، حديث : ١٠٢٤٥، ١٠/ ١٤٢.

(٥) انظر: روح المعاني، الآلوسي، ٦/ ١٩.

المطلب الثاني:
الأحاديث الضعيفة في فضل سورة (الملك)

هذه جملة من الأحاديث الضعيفة الواردة في فضل سورة الملك، وقد اختلف العلماء في حكم العمل بالحديث الضعيف، والذي عليه جمهور العلماء أنه يستحب العمل به في التفسير والمغازي وفضائل الأعمال، ولكن بشروط ثلاثة وهي:

أ ـ أن يكون الضعف غير شديد.

ب ـ أن يندرج تحت أصل معمول به.

ج ـ أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط[١].

و من الأحاديث الضعيفة في فضل سورة الملك ما يلي:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خِبَاءَه على قبر وهو لا يَحْسب أنه قبر، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورة «تبارك الذي بيده الملك» حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خِبَائِي على قبرٍ، وأنا لا أَحْسبُ أنه قبر، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورة «تبارك الملك» حتى ختمها؟! فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة، هي المُنجية؛ تُنجيه من عذاب القبر**»[٢].

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**»[٣]، وفي لفظ: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**» ـ يعني ـ «تبارك الذي بيده الملك»[٤].

---

(١) انظر: الميسر على نزهة النظر، ابن حجر العسقلاني، إعداد: عبد المنعم إبراهيم، ص١٨٨.

(٢) سبق تخريجه، ص ١٨.

(٣) سبق تخريجه، ص ٢١.

(٤) سبق تخريجه، ص ٢١.

٣ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأجد في كتاب الله سورة هي ثلاثون آية، من قرأها عند نومه: كُتب له بها ثلاثون حسنة، ومحي عنه ثلاثون سيئة، ورفع له ثلاثون درجة، وبعث الله إليه ملكاً من الملائكة ليبسط عليه جناحه، ويحفظه من كل سوء حتى يستيقظ ،وهي المجادلة تجادل عن صاحبها في القبر، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**»[(١)].

٤ ـ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**لقد رأيت عجباً رأيت رجلاً مات كان كثير الذنوب مسرفاً على نفسه، فكلما توجه إليه العذاب في قبره من قبل رجليه أو من قبل رأسه أقبلت السورة التي فيها الطير تجادل عنه العذاب: أنه كان يحافظ علي، وقد وعدني ربي أنه من واظب علي أن لا يعذبه، فانصرف عنه العذاب بها**»، وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ويقولون: «المغبون من لم يتعلمها وهي سورة الملك»[(٢)].

٥ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سورة من القرآن تشفع لصاحبها فتدخله الجنة**» قال: «**وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾**»[(٣)].

٦ ـ عن أنس بن نفيل رضي الله عنه مرفوعاً: «**يُبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيئاً من المعاصي إلا ركبها إلا أنه كان يوحد الله ولم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة واحدة، فيؤمر به إلى النار، فطار من جوفه شيء كالشهاب، فقالت: اللهم إني ما أنزلت على نبيك وكان عبدك هذا يقرأني، فما زالت تشفع حتى أدخلته الجنة، وهي المنجية: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس، ١/ ٦٣، ٦٢، وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٢١٧: أخرجه الديلمي بسندٍ واهٍ.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٨/ ٢١٨، وقال: أخرجه الديلمي بسندٍ واهٍ.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٩٦، وفي سنده الهيثم بن سهل وهو متروك. والحديث في سنده أبو بشر بن الهيثم وهو ضعيف، وفيه سدوس بن علقمة وهو مجهول، وعلقمة والد السدوس مجهول أيضاً. انظر: الفلك في فضل سورة الملك، أبو عبد الرحمن فوزي الأثري، ص ٢٠-٢١.

(٤) أورده السيوطي في الدرر المنثور، ٨/ ٢١٧، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس، ٥/ ٤٦٧، وفي سنده سعيد بن مسلمة وهو ضعيف.

٧ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من صلّى أربع ركعات خلف العشاء الأخيرة قرأ في الركعتين الأوليين «قل يا أيها الكافرون» و «قل هو الله أحمد» وفي الركعتين الأخريين: «تنزيل السجدة» و«تبارك الذي بيده الملك» كُتِبْن له كأربع ركعاتٍ من ليلة القدر»[١].

٨ ـ عن فرات بن السائب عن الزهري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك، فلما وضع في حفرته أتاه الملك، فثارت السورة في وجهه، فقال لها: إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإني لا أملك لك ولا لنفسي ضرّاً ولا نفعاً، فإن أردت هذا به فانطلقي إلى الرب ـ تبارك وتعالى ـ فاشفعي له، فتنطلق إلى الرب فتقول: يا رب إن فلاناً عمد إلي من بين كتابك، فتعلمني وتلاني، أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه؟ فإن كنت فاعلاً ذاك به فامحني من كتابك، فيقول: ألا أراك غضبت؟ فتقول: وحق لي أن أغضب، فيقول: اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه ـ قال: ـ فتجيء فتزجر الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه بشيء ـ قال ـ فتجيء فتضع فاهاً على فيه فتقول: مرحباً بهذا الفم فربما تلاني، ومرحباً بهذا الصدر فربما وعاني، ومرحباً بهاتين القدمين فربما قامتا بي، وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه»، فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ المنجية[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث: ١٢٢٤٠، ١١/ ٣٤٦، وقال في مجمع الزوائد ٢/ ٤٨٤: فيه يزيد بن سنان أبو فروة، ضعفه أحمد وابن المديني وابن معين، وقال البخاري: مقارب الحديث وثّقه مروان بن معاوية، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكانت فيه غفلة.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٥، والدر المنثور للسيوطي ٨/ ٢١٦، وقال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٩٥: وهذا حديث منكر جدّاً، وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٢١٠٦ أخرجه ابن عساكر بسند ضعيف، والحديث سنده واهٍ فيه فرات بن السائب وقال عنه البخاري: تركوه منكر الحديث. الضعفاء الكبير، لابن الجوزي، ٣/ ٤٥٨، وسئل أبو زرعة عن فرات بن السائب فقال: ضعيف الحديث. انظر: ميزان الجرح والتعديل، للذهبي، ٧/ ٨٠.

المبحث الثالث:
عقيدة أهل السنة والجماعة
في القبر، وأسباب عذاب القبر، والنجاة منه:

تمهيد:

لما كانت هذه السورة العظيمة من أهم أسمائها وفضائلها أنها المنجية والمانعة من عذاب القبر، لمن داوم على تلاوتها بتدبر، وعمل بها كما مرَّ معنا، فإنه من المناسب الحديث عن القبر الذي هو أول منازل الآخرة، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيه، وبيان الأسباب الموجبة لعذاب القبر للترهيب منها واجتنابها، وبيان الأسباب الموجبة للنجاة من عذاب القبر للترغيب في فعلها والمداومة عليها.

المطلب الأول:
عقيدة أهل السنة والجماعة في القبر

يُؤمِنُ أهلُ السُّـنَّة والجماعة بسؤال المَلَكَيْن وفتنة القبر وعذابه ونعيمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فليُعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن مُنَعَّمة أو مُعَذَّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين»(١).

وقال الإمام ابن أبي العز ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادةً غير الإعادة المألوفة في الدنيا»(٢).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذا البرزخ الذي هو ما بين الدنيا والآخرة، يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، ولكل منهم نصيبه من عذاب البرزخ أو نعيمه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حُرِّق جسده

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ٤/ ٢٨٤.

(٢) نظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص٥٧٨

بالنار، وصار رماداً وذُري بعضه في البحر، وبعضه في البر، في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، ففعلوا، «**فقال الله: كن، فإذا رجل قائم، ثم قال: أي عبدي ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتك أو فَرَق منك، فما تلافاه**[١] **أن رَحِمَهُ الله**»»[٢][٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : «ومن الإيمان باليوم الآخر بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر، وبنعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يُفتنون في قبورهم، فَيُقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فَيُضْرَبُ بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب»[٤].

قال العلاَّمة الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ في شرحه لكلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ المتقدم: «والمراد بـ «فتنة القبر»: سؤال الميت إذا دُفِن عن ربه ودينه ونبيه. والضمير في «يؤمنون»: يعود على أهل السنة؛ أي أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر، وذلك لدلالة الكتاب والسنة عليها، أما الكتاب؛ ففي قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ

---

(١) تلافاه: أي: تداركه، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الخوف من الله ـ عز وجل ـ، حديث رقم: ٦٤٨١. وأخرجه أيضاً في كتاب أحاديث أنبياء، حديث رقم ٣٤٧٨. وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: ٢٧٥٧.

(٣) انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، ص٢٥٥ـ ٢٥٦.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ص٤٧٢ ـ ٤٨٩.

ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ؛ فإن هذا في فتنة القبر؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فذلك قوله**: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾»(١).

وفي صحيح مسلم عن عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾»، قال: «**نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد ﷺ فذلك قوله عز وجل**: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾»(٢).

وأما السُّنَّة؛ فقد تضافرت بأن الإنسان يُفتن في قبره، وهي فتنة قال فيها النبي ﷺ: «**إني قد رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال**»(٣).

وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة؛ كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»(٤).

ولكن النبي ﷺ قال لأصحابه، بل قال لأمته: «**إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج، ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، حديث: ٤٦٩٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، حديث: ٢٨٧١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث: ٨٦، ومسلم، كتاب الكسوف، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف، حديث: ٩٠٣، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث: ٢٩٤٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث: ٢٩٣٦.

ومع ذلك فإن نبينا محمد ﷺ أعلمنا كيف نُحاجُّه، وأعلمنا بأوصافه وميزاته حتى كأنا نشاهده رأي عين، وبهذه الأوصاف والميزات نستطيع أن نُحاجُّه... وما أعظمها من فتنة! لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الجواب عليه؛ إلا على أساس متين من العقيدة والعمل الصالح...

وكلمة «**الناس**»[1] عامة، وظاهر كلام المؤلف أن كل أحد؛ حتى الأنبياء والصديقين والشهداء والمرابطون وغير المكلفين من الصغار والمجانين، وفي هذا تفصيل ؛ فنقول:

أولاً: أما الأنبياء؛ فلا تشملهم الفتنة، ولا يسألون، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أن الأنبياء أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يُوقى فتنة القبر، وقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[2].

الوجه الثاني: أن الأنبياء يُسأل عنهم ؛ فيقال للميت: من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم، وليسوا مسؤولين، ولهذا قال النبي: «أني قد رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال». والخطاب للأمة المرسل إليهم، فلا يكون الرسول داخلاً فيهم.

ثانياً: وأما الصديقون؛ فلا يُسألون؛ لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء؛ فإذا كان الشهداء لا يُسألون؛ فالصديقون من باب أولى، ولأن الصديقين على وصفه مصدَّق وصادق؛ فهو قد علم صدقه؛ فلا حاجة إلى اختباره؛ لأن الاختبار لمن يُشك فيه؛ هل هو صادق أو كاذب، أما إذا كان صادقاً؛ فلا حاجة تدعو لسؤاله، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُسئلون، لعموم الأدلة، والله أعلم.

ثالثاً: وأما الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ـ تعالى ـ فإنهم لا يُسألون؛

---

(١) الواردة في قول شيخ الإسلام المتقدم «فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم».

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الشهيد، حديث: ٢٠٥٢، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، حديث: ٢٠٢٥.

لظهور صدق إيمانهم بجهادهم، قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ ...﴾ [التوبة: ١١١].

وقال النبي ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(١).

وإذا كان المرابط؛ إذا مات؛ أَمِنَ الفَتَّان؛ لظهور صدقه؛ فهذا الذي قتل في المعركة مثله أو أولى منه؛ لأنه بذل وعَرَّضَ رقبته لعدو الله؛ إعلاءً لكلمة الله، وانتصاراً لدينه، وهذا من أكبر الأدلة على صدق إيمانه.

رابعاً: وأما المرابطون؛ فإنهم لا يُفتنون؛ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفُتَّان**»(٢).

خامساً: الصغار والمجانين؛ هل يُفتنون أو لا يُفتنون؟ قال بعض العلماء: إنهم يُفتنون؛ لدخولهم في العموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة؛ فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يُسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين؛ فإنه لا حساب عليهم؛ إذ لا حساب إلا على من كان مكلفاً يُعَاقَبُ على المعاصي، وهؤلاء لا يُعَاقَبُون، وليس لهم إلا الثواب؛ إن عملوا عملاً صالحاً يثابون عليه.

إذاً خرج من قوله: «**فإن الناس**» خمسة أصناف: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والمرابطون، ومن لا عقل له، كالمجانين، والصبيان.

قوله: «**في قبورهم**»: جمع قبر، وهي مدفن الأموات، والمراد ما هو أعم؛ يشمل البرزخ، وهو ما بين موت الإنسان وقيام الساعة، سواء دُفِنَ الميت، أو أكلته السباع في البر، أو الحيتان في البحر، أو أتلفته الرياح.

---

(١) سبق تخريجه، ص ٣٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله ـ عز وجل ـ، حديث: ١٩١٣.

قولـه: «**فيقال للرجل**»: القائل ملـكان يأتيان إلى الإنسـان في قبره، ويُجلسانه، ويسـألانه، حتى إنه ليسـمع قرع نعال المنصرفين عنه، وهما يسألانه ،ولهذا كان من هدي النبي ﷺ أنه إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»(١).

وورد في بعض الآثار أن اسمهما: منكر، ونكير(٢).

وأنكر بعض العلماء هذين الاسـمين؛ قال: كيف يسـمى الملائكة وهم الذين وصفهـم الله ـ تعالى ـ بأوصاف الثناء بهذين الاسـمين المنكرين، وضُعِّفَ الحديث الوارد في ذلك.

وذهب آخـرون إلى أن الحديث حجة، وأن هذه التسـمية ليس لأنهما منكـران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم عليه السلام لأضيافه الملائكة: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريـات: ٢٥]. أنـه لا يعرفهم؛ فهذان منكر ونكير؛ لأنهما غير معروفين للميت.

ثم هذان الملـكان هل هما ملكان جديدان موكلان بأصحاب القبور؟ أو هما الملكان الكاتبان عن اليمين وعن الشمال قعيد؟

* منهـم من قال: أنهما الملكان اللذان يصحبان المرء، فإن لكل إنسـان ملكين في الدنيا يكتبان أعماله، وفي القبر يسألانه هذه الأسئلة الثلاثة.

* ومنهم من قال: بل هما ملكان آخران والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وَمَا

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاسـتغفار عنـد القبر للميت في وقت الانصراف، حديث رقم: ٣٢٢١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: ٣٢٢١.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: ذكر بعض الفقهاء أن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير، واسم اللذين يسـألان المطيع مبشر وبشـير. انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٣/ ٢٨٠. وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت ـ أو قال: أحدكم ـ أتاه ملكان أسـودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير...**» حديث رقم: ١٠٧١، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: ١٠٧١.

يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. والملائكة خلقٌ كثير.

قال النبي ﷺ: «**أَطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله...**»(١). والسماء واسعة الأرجاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧].

فالمهم أنه لا غرابة أن ينشئ الله ـ عز وجل ـ لكل مدفون ملكين يرسلهما إليه، والله على كل شيء قدير.

وقوله: «**من ربك**» يعني: من ربك الذي خلقك وتعبده وتخصه بالعبادة؟ لأجل أن تنتظم هذه الكلمة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وقوله: «**وما دينك**» يعني: ما عملك الذي تدين به لله ـ عز وجل ـ، وتتقرب به إليه؟

وقوله: «**ومن نبيك**» يعني: من النبي الذي تؤمن به وتتبعه؟

وقوله: «**فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**» أي: يجعلهم ثابتين لا يترددون ولا يتلعثمون في الجواب.

والقول الثابت: هو التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وقوله: «**في الحياة الدنيا وفي الآخرة**» يحتمل أنها متعلقة بـ «**يثبت**» يعني: أن الله يثبت المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة. ويحتمل أنها متعلقة بالثابت، فتكون وصفاً للقول، يعني: أن هذا القول ثابت في الدنيا وفي الآخرة. ولكن المعنى الأول أحسن وأقرب، لأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال الله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: «**لوتعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً**»، حديث رقم: ٢٣١٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: ٢٣١٢.

وقوله: «**فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي**» فيقول المؤمن: ربي الله عندما يقال له: من ربك؟ ويقول إذا قيل له: ما دينك؟ الإسلام ديني، ويقول كذلك: محمد ﷺ نبيي، إذا قيل له: من نبيك؟

وحينئذٍ يكون الجواب صواباً فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

وقوله: «**وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**».

المرتاب: الشاك والمنافق و شبههما، «**فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**» يعني: لم يلج الإيمان قلبه، وإنما كان يقول كما يقول الناس من غير أن يصل الإيمان إلى قلبه.

وتأمل قوله: «**هاه! هاه!**»، كأن شيئاً غاب عنه، يريد أن يتذكره، وهذا أشد في التحسر، أن يتخيل أنه يعرف هذا الجواب، ولكن يُحال بينه وبينه، ويقول: «**هاه! هاه! ثم يقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**». ولا يقول: ربي الله! ولا: ديني الإسلام! ولا: نبيي محمد! لأنه في الدنيا مرتاب شاك!

هذا إذا سئل في قبره، وصار أحوج ما يكون إلى الجواب الصحيح، يعجز ويقول: لاأدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، إذاً إيمانه قولٌ فقط.

وقوله: «**فيضرب بمرزبة فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق**». يعني: الذي لم يُجب، سواء كان الكافر أو المنافق، والضارب له الملكان اللذان يسألانه.

و«**المرزبة**»: هي مطرقة من حديد، وقد ورد في بعض الروايات أنه لو اجتمع عليها أهل منى؛ ما أقلُّوها. فإذا ضُرِبَ «**يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان**»، أي: صياحاً مسموعاً؛ يسمعه كل شيء، يكون حوله مما

يسمع صوته، وليس كل شيء في أقطار الدنيا يسمعه، وأحياناً يتأثر به ما يسمعه، كما مَرَّ النبي ﷺ بأقبر المشركين على بغلته، فحادت به، حتى كادت تلقيه، لأنها سمعت أصواتهم يُعذبون.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى مات هؤلاء**» قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»(١).

وقوله: «**إلا الإنسان**»؛ يعني: أنه لا يسمع هذا الصياح، وذلك لحكم عظمية؛ منها:

أولاً: ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «...**فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**».

ثانياً: أن في إخفاء ذلك ستراً للميت.

ثالثاً: أن فيه عدم إزعاجٍ لأهله، لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يُعذب ويصيح لم يستقر لهم قرار.

رابعاً: عدم تخجيل أهله، لأن الناس يقولون: هذا ولدكم! هذا أبوكم! هذا أخوكم! وما أشبه ذلك.

خامساً: أننا قد نهلك، لأنها صيحةٌ ليست هَيِّنة، بل صيحةٌ قد توجب أن تسقط القلوب من معاليقها فيموت الإنسان أو يُغشى عليه.

سادساً: لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين، لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان، لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً، لكن إذا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث: ٢٨٦٧.

كان غائباً عنهم، ولم يعلموا به إلا عن طريق الخبر، صار من باب الإيمان بالغيب.

وقوله: «**ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم أو عذاب**»، وقوله: «**ثم**» هذه لمطلق الترتيب، وليست للتراخي، لأن الإنسان يعذب أو ينعم فوراً، كما سبق أنه إذا قال: لا أدري! يضرب بمرزبة، وأن ذاك الذي أجاب الجواب بالصواب، يُفتح له بابٌ إلى الجنة، ويُوسَّع له في قبره.

وقوله: «**إما نعيم أو عذاب**» فيه إثبات النعيم والعذاب في القبر، وقد دلَّ على ذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بل لنا أن نقول: وإجماع المسلمين.

* أما من كتاب الله فالثلاثة أصناف التي في آخر سورة الواقعة ظاهرة في ثبوت عذاب القبر ونعيمه. قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٩٤].

وهذا أمر مشاهد، يُسمع المحتضر يرحب بالقادمين عليه من الملائكة، ويقول: مرحباً! وأحياناً يقول: مرحباً، اجلس هنا! كما ذكره ابن القيم في كتاب «الروح»، وأحياناً يُحس بأن هذا الرجل أصيب بشيء مخيف، فيتغير وجهه عند الموت، إذا نزلت عليه ملائكة العذاب ـ والعياذ بالله ـ.

ومن أدلة القرآن قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وهذا قبل قيام الساعة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ومن أدلة القرآن أيضاً قولـه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وهم شاحون بأنفسهم، لا يريدونها أن تخرج، لأنهم قد بُشروا بالعذاب والعقوبة، فتجد الروح تأبى الخروج، ولهذا قال: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ومـن أدلة القرآن أيضاً قولـه تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] وذلك في حالة الوفاة.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح، يقال لنفس المؤمن: «**أيتها النفس المطمئنة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»[(١)] فتفرح بهذه البشـرى، وتخرج منقادة سهلة، وإن كان البدن قد يتألم، لكن الروح منقادة مستبشرة.

وأما أدلة السُـنَّة الواردة في عذاب القبر ونعيمه فمتواترة، ومنها ما ثبت من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مَرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير...**»[(٢)].

وأما الإجماع: فكل المسـلمين يقولون في صلاتهم: «**أعوذ بالله من عذاب جهنـم ومـن عـذاب القبـر...**»، ولو أن عذاب القبر غيـر ثابت مـا صَحَّ أن يتعوذوا بالله منـه إذ لا تعوذ من أمـر ليس موجوداً، وهـذا يدل على أنهم يؤمنون به[(٣)].

---

(١) أخرجـه الإمام أحمد في مسـنده، حديث: ١٨٦٣٧، ٤/ ٢٩٥، والحاكم في المسـتدرك، كتاب الإيمان، باب مجيء ملك الموت عند قبض الروح، حديث: ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، حديث: ١٣٧٨، واللفظ له. وأخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستتار منه، حديث: ٢٩٢.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ص٤٧٢ـ ٤٨٦.

المطلب الثاني:
تساؤلات حول عذاب القبر

١ ـ هل العذاب أو النعيم في القبر دائم أو ينقطع؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في كلامه عن مدة عذاب القبر: «أنه نوعان:

النوع الأول: نوع دائم: سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، ويدل أيضاً ما تقدم من حديث سمرة رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ وفيه: «**فهو يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة**»(١).

النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفَّت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يُخفف عنه، كما يُعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم(٢).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية، أو عِلْم يُنْتفعُ به، أو وَلَدٍ صَالح يَدْعو لَهُ**»(٣).

وقد مرَّ معنا أنَّ من فضائل سورة تبارك أنها المانعة من عذاب القبر(٤).

وقال العلاَّمة الشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «أما العذاب للكفار، فإنه دائم، ولا يمكن أن يزول العذاب عنهم، لأنهم مستحقون

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٢) انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، ص٢٧٦ـ٢٧٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث: ١٦٣١.

(٤) انظر ص ٢٤.

لذلك، ولأنه لو زال العذاب عنهم لكان هذا راحة لهم، وهم ليسوا أهلاً لذلك، فهم باستمرار في عذاب إلى يوم القيامة، ولو طالت المدة، فقوم نوح الذين أُغرقوا ما زالوا يُعذبون في هذه النار التي أُدخلوا فيها، ويستمر عذابهم إلى يوم القيامة، وكذلك آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً».

وذكر بعض العلماء أنه يخفف عن الكفار ما بين النفختين، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ولكن هذا ليس بلازم؛ لأن قبورهم مرقد لهم، وإن عُذبوا فيها. وأما عصاة المؤمنين الذين يقضي الله ـ تعالى ـ عليهم بالعذاب؛ فهؤلاء قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم، حسب الذنوب، وحسب عفو الله ـ عز وجل ـ[1].

٢ ـ لو أن الرجل تمزق أوصالاً، وأكلته السباع وذرته الرياح، كيف يكون عذابه؟ وكيف يكون سؤاله؟

قال العلاَّمة الشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «إن الله ـ عز وجل ـ على كل شيء قدير، وهذا أمر غيبي، فالله ـ عز وجل ـ قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب، وإن كنا نشاهدها في الدنيا متمزقة متباعدة، لكن في عالم الغيب ربما يجمعها الله ـ تعالى ـ. . . فعالم الغيب لا يمكن أبداً أن يقاس بعالم الشهادة وهذه من حكمة الله ـ عز وجل ـ، فَنَفْسُكَ التي في جوفك ما تدري كيف تتعلق ببدنك؟ كيف هي موزعة على البدن؟ وكيف تخرج منك عند النوم؟ وهل تحس بها عند استيقاظك بأنها ترجع؟ ومن أين تدخل لجمسك؟ فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم، ولا يمكن فيه القياس مطلقاً»[2].

٣ ـ الميت يُدفن في قبر ضيق فكيف يُوَسَّعُ له مَدُّ البصر؟

قال العلاَّمة الشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «إن عالم الغيب لا يقاس بعالم الشهادة، بل إننا لو فرض أن أحداً حفر حفرة مد البصر،

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ص٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٨٧ـ ٤٨٨.

ودفن فيها الميت، وأطبق عليه التراب، فالذي لا يعلم بهذه الحفرة هل يراها أو لا يراها؟ لا شك أنه لا يراها، مع أن هذا في عالم الحس، ومع ذلك لا يرى هذه السعة، ولا يعلم بها إلا من شاهدها»[١].

٤ ـ نحن نرى الميت الكافر إذا حفرنا قبره بعد يوم أو يومين، نرى أضلاعه لم تختلف وتتداخل من الضيق؟

قال العلاَّمة الشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «إن هذا من عالم الغيب، ومن الجائز أن تكون مختلفة، فإذا كشف عنها أعادها الله وردَّ كل شيء إلى مكانه امتحاناً للعباد؛ لأنه لو بقيت مختلفة ونحن قد دَفَنَّاهُ وأضلاعه مستقيمة، صار الإيمان بذلك إيمان شهادة»[٢].

٥ ـ هل عذاب القبر على النفس أو على البدن؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن عذاب القبر هل هو على النفس والبدن أم هو على النفس دون البدن؟ فأجاب: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق اهل السنة والجماعة، تُنَعَّم النفس وتُعذَّب منفردة عن البدن، وتُعذَّب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»[٣].

٦ ـ هل يسمع الأحياء عذاب القبر؟

يتحدث بعض الناس عمن سماعهم ورؤيتهم للمعذبين في قبورهم، وهؤلاء إن كانوا من الثقات فلا مطعن في كلامهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن جواز سماع الحي للميت: «وقد يرى خارجاً من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ـ ٤٨٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٨٦ ـ ٤٨٩.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ٤/ ٢٨٢.

مَـنْ يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضاً إذا قوي الأمر، لكن هذا ليس لازماً في حق كل ميت»[١].

٧ ـ هل يُفتن الصغار والمجانين في القبور؟

قال بعض العلماء: إنهم يُفتنون لدخولهم في العموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يُسألون، لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين فإنه لا حساب عليهم، إذ لا حساب إلا على مَنْ كان مُكلفـاً يُعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يُعاقبون، وليس لهم إلا الثواب، إن عملوا عملاً صالحاً يُثابون عليه[٢].

٨ ـ فتنة القبر هل هي قبل الدفن أم بعده؟

القبر مدفن الأموات، والمراد ما هو أعم، فيشـمل البرزخ، وهو ما بين موت الإنسـان وقيام الساعة، سواء دُفن الميت أو أكلته السباع في البر، أو الحيتان في البحر، أو أتلفته الرياح.

والظاهر أن الفتنة لا تكون إلا إذا انتهت الأحوال الدنيوية، وسـلم إلى عالم الآخرة، فإذا تأخر دفنه يوماً أو أكثر لم يكن السؤال حتى يُدفن[٣].

٩ ـ هل يُخفف العذاب عن المؤمن العاصي؟

قـد يُخفف لأن النبي مرَّ بقبرين فقال ﷺ: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير**»، ثم قال ﷺ: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لايستتر من بوله**»، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منها على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٤].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥/ ٥٢٦.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسـائل فضيلة الشـيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ٨/ ٤٧٨.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسـائل فضيلة الشـيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ٨/ ٤٧٨.

(٤) سبق تخريجه ص٤١.

وهذا دليل على أنه قد يُخفف العذاب[١].

١٠ـ هل سؤال الميت في قبره حقيقي، وأنه يجلس في قبره ويناقش؟

سؤال الميت في قبره حقيقي بلا شك، والإنسان في قبره يُجلس ويُناقش ويُسأل.

فإذا قال قائل: إن القبر ضيق فكيف يُجلس؟!

فالجواب: أولاً: أن الواجب على المؤمن في الأمور الغيبية أن يقبل ويُصدِّق ولا يسأل كيف؟ ولمَ؟ لأنه لا يسأل عن كيف ولمَ إلا مَن شك، وأما من آمن وانشرح صدره لإخبار الله ورسوله، فيُسلِم ويقول: الله أعلم في كيفية ذلك.

ثانياً: إن تعلق الروح بالبدن في الموت ليس كتلعقها به في حال اليقظة، فللروح مع البدن شؤون عظيمة، لا يُدركه الإنسان، وتعلقها بالبدن بعد الموت، لا يمكن أن يقاس بتعلقها به في حال الحياة، وهاهو الإنسان في منامه يرى أنه ذهب، وجاء، وسافر، وكلَّم أناساً، والتقى بأناس أحياء وأموات، ويرى أن له بستاناً جميلاً، أو داراً موحشة مظلمة، ويرى أنه راكب على سيارة مريحة، ويرى مرة أنه راكب على سيارة مقلقة، كل هذا يمكن مع أن الإنسان على فراشه ما تغير، حتى الغطاء الذي عليه لم يتغير، ومع ذلك فإننا نحس بهذا إحساساً ظاهراً، فتعلق الروح بالبدن بعد الموت يُخالف تعلقها به في اليقظة، أو في المنام، ولها شأن آخر لا ندركه نحن، فالإنسان يمكن أن يُجلس في قبره، ويُسأل، ولو كان القبر محدوداً ضيقاً.

هكذا صح عن النبي ﷺ، فمنه البلاغ وعلينا التصديق والإذعان، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥][٢].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ٢/ ٣٠ـ٣١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.

المطلب الثالث:
أسباب عذاب القبر

إن عذاب القبر يتوقف على الأسباب الموجبة لهذا العذاب، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين: مجملة ومُفصَّلة:

القسم الأول: الأسباب المجملة:

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في الأسباب المجملة لعذاب القبر:

أمَّا المُجمل: فإنهم يُعَذَّبون على جهلهم بالله ـ تعالى ـ، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يُعَذِّب الله ـ عز وجل ـ روحاً عرفته وأَحَبَّته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يَتُب ومات على ذلك، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمُستَقِلٌّ، ومُستكثِرٌ، ومُصَدِّقٌ، ومُكَذِّبٌ(١).

ومن الأسباب المجملة: الاغترار بالأمل والحياة الدنيا الملهية عن التوبة والعمل الصالح، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

قال الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن قوماً ألهتم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقرأ أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل».

ويقول أحد السلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «سيأتي على الناس زمان تخرب

(١) الروح، ابن القيم، ص٢٦٣.

صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم، لا يجدون له حلاوة ولا لذاذة، إن قصروا عما أُمروا به قالوا إن الله غفور رحيم، وإن عملوا مانُهوا عنه قالوا: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[(١)].

القسم الثاني: الأسباب المفصّلة:

جاءت النصوص الشرعية الكثيرة التي تُفَصِّل أسباب عذاب القبر ومنها ما يلي:

١ ـ الشرك بالله والكفر به[(٢)]:

إن الشرك بالله والكفر به أخطر وأعظم أسباب عذاب القبر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

ولقد دعا النبي ﷺ على المشركين بالعذاب في قبورهم، كما جاء عن علي

---

(١) الرحيل، محمد رياض الأحمد السلفي الأثري، ص١٧١.

(٢) الكفر: خلاف الإيمان وضده، وهو رد الحق بعد معرفته، والمقصود هنا: الكفر الأكبر: وهو ما يضاد الإيمان من كل وجه ويخرج صاحبه عن الدين والملة، ويوجب له الخلود في النار، ويسمى الكفر الاعتقادي.

الشرك: المقصود هنا الشرك الأكبر وهو: أن يتخذ مع الله ـ تعالى ـ أو من دونه إلهاً آخر، يعبده بنوع من العبادة، فيسوي بين الله وبين الأنداد وهذا أعظم الشرك والظلم، ولا يغفره الله لصاحبه، ويخرج صاحبه عن الملة، ويحبط عمله، ويخلده في النار. انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، ص٣١٢، ص٣٣٦.

رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس**»(١).

وعن البراء عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ بعد ما غربت الشمس، فسمع صوتاً، فقال: «**يَهُودُ تُعذبُ في قبورها**»(٢).

٢ ـ النفاق(٣):

المنافقون ـ أعاذنا الله عز وجل من النفاق ـ يعذبون في قبورهم، كيف لا؟ وهم أصحاب الدرك الأسفل من النار، والدليل قول الله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقال سعيد عن قتادة ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ عذاب الدنيا وعذاب القبر»(٤)، وجاء في التفسير الميسر قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أي: بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قُبر الميت ـ أو قال: أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسولُه،**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث: ٦٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث: ٢٨٦٩.

(٣) النفاق: المقصود به هنا النفاق الأكبر وهو: أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب. انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ١/ ٣٥٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٣٦٨.

(٥) التفسير المسير، نخبة من العلماء، ص ٢٠٣.

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنوَّرُ له فيه، ثم يقال له: نَمْ، فيقول: أَرْجِعُ إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً، قال: سمعتُ الناس يقول، فقلتُ مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذَباً، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[(١)].

٣ ـ الإعراض عن ذكر الله ـ عز وجل ـ:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وفسّرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعمّ منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى، فإنه سبحانه رتّب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه»[(٣)].

وقال العلاَّمة الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ وفُسِّرت المعيشة الضنك: بعذاب القبر، وأنه يُضيق عليه قبره، ويُحصر فيه، ويُعذب، جزاءً لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، حديث: ١٠٧١، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ١٠٧١.

(٢) انظر: الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، ص٢٩٦.

(٣)) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٦٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ص ٥١٥.

٤ ـ السعي بين الناس بالنميمة[١]:

٥ ـ عدم الاستتار[٢] من البول:

ومن الأدلة على ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مَرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير**»، ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لايستتر في بوله**»، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منها على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٣].

وقد بوَّب الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ على هذا الحديث الشريف بقوله: «باب عذاب القبر من الغيبة والبول» والحديث لم يذكر فيه الغيبة، وإنما ورد بلفظ النميمة، وقيل: مراد البخاري بذلك أن الغيبة تلازم النميمة، لأن النميمة مشتملة على ضربين: نقل كلام المغتاب إلى الذي اغتابه، والحديث عن المنقول عنه بما لايريده، لكن أن يكون وقع على معنى التوقع والحذر، فيكون قصد التحذير من المغتاب لئلا يكون له في ذلك نصيب، وقد وقع في بعض طرق هذا الحديث بلفظ الغيبة، فالظاهر أن البخاري جرى على عادته في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث والله أعلم[٤].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يُعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الأخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة،

---

(١) النميمة هي: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٢/ ٢٨٥.

(٢) عدم الاستتار من البول: أن لا يجعل بينه وبين بوله سترة، يعني لا يتحفظ منه، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٣٨٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٤١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣/ ٢٨٦.

وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذاباً، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن ترك الصلاة التي الاستبراء بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذاباً»[١].

وقد أخبر الرسول ﷺ أن عامة عذاب القبر من البول، فقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تنزهو من البول، فإن عامة عذاب القبر منه**»[٢]. ورواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ: «**إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا عنه**»[٣]، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**أكثر عذاب القبر من البول**»[٤].

٦ ـ الغيبة[٥]:

جاء ذكر الغيبة صراحة في حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ فمر على قبرين فقال: «**من يأتيني بجريدة نخل**»، قال: فاستبقت أنا ورجل آخر فجئنا بعسيب، فشقه باثنين، فجعل على هذا واحدة وعلى

---

(١) الروح، ابن قيم الجوزية، ص٢٦٣.

(٢) أخرجه الدارقطني، باب نجاسة البول، والأمر بالتنزه من، حديث رقم: ٢، ١/ ١٢٧. وصححه الألباني في إرواء الغليل، حديث: ٢٨٠.

(٣) أخرج الطبراني في المعجم الكبير، حديث: ١١١٠٤، ١١/ ٨٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث: ٢١٠٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب التشديد في البول، حديث ٣٤٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث: ٢٨٣.

(٥) الغيبة هي: ذكر إنسان في غيبته بما يكرة، وقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: أنه تباح الغيبة لغرض شرعي، وذلك لست أسباب: الأول: التظلم: فيجوز للمظلوم إن تظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما... فيقول: ظلمني فلان. الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل له ذلك. الرابع: تحذير المسلمين من الشر. الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته فيجوز ذكره بما يجاهر به. السادس: التعريف: فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج... ونحوهما جاز تعريفه بها، ويحرم ذكره بها تنقصاً ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى. والله أعلم. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/ ١١٠.

هذا واحدة، ثم قال: «**أما إنه سيخفف عنهما ما كان فيهما من بلولتهما**[١] **شيء**» ثم قال: «**إنهما ليعذبان في الغيبة والبول**»[٢].

وفي رواية أخرى: «**أما إنهما يعذبان بغير كبير الغيبة والبول**»[٣].

٧ ـ أذى الناس باللسان:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين، فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغير حتى رعد كمُّ قميصه، فقلنا: ما لك يا نبي الله، قال: «**ما تسمعون ما أسمع**» قلنا: وما ذاك يا نبي الله، قال: «**هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذاباً شديداً في ذنب هين**» قلنا: ممَّ ذلك يا نبي الله، قال: «**كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة**» فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل في كل قبر واحدة، قلنا: وهل ينفعهما ذلك يا رسول الله قال: «**نعم يخفف عنهما ما داما رطبتين**»[٤].

وأذى الناس باللسان يكون بالفاحش، والسب، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، والكذب عليهم، والاستطالة في أعراضهم، والهجاء[٥]...

٨ ـ الغلول[٦]:

أصل الغلول: الخيانة مطلقاً، وغلب استعماله خاصة في الخيانة في الغنيمة[٧].

---

(١) البلول: الندى أو الماء، ويقال: الريح بلولاً: إذا تندت بالماء ونحوه. انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، ص٧٠ (بلَّ)، لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٨٤٩ (بلل).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث: ٢٠٤٢٧، ٥/ ٣٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث: ٣٧٤٧، ٤/ ١١٣.

(٤) أخرجه ابن حبان، حديث رقم: ٨٢٤، ٣/ ١٠٦.

(٥) انظر: سكب العبرات للموت والقبر والسكرات، سيد بن حسين العفاني، ٢/ ٩٨.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٢/ ٢٩٦.

(٧) انظر المرجع السابق ٢/ ٢٩٦.

لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**يابن الخطاب اذهب فنادي في الناس لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[١].

والبُردة: بضم الباء، كساء مخطط وهي الشملة والنمرة، وقال أبو عبيد ـ رحمه الله تعالى ـ: هو كساء أسود فيه صور، وجمعها بُرَد بفتح الراء.

وأما العباءة فمعروفة، وهي ممدودة، ويقال فيها عباية بالياء، قال ابن السكيت ـ رحمه الله ـ وغيره «وقوله ﷺ: «**في بردة**» أي: من أجلها أو بسببها».

٩ ـ إسبال الإزار خُيَلاء:

بوّب الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه: «باب من جرّ ثوبه من الخيلاء»، وذكر حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يجر إزاره، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «جر ثوبه خيلاء، أي بسبب الخيلاء».

وقال أيضاً: «وإنما خص الإزار بالذكر لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالباً»[٣].

والخيلاء هو: الكبر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث: ١١٤.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جرّ ثوبه من الخيلاء، حديث: ٥٧٩٠.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٢٠٧٠ ـ ٢٧٢.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً**»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله: «**لا ينظر الله**» أي: لا يرحمه، ويحتمل أن يكون المراد لا ينظر إليه نظرة رحمة، ومعنى جرّ إزاره بطراً: أي جرّه تكبراً وطغياناً»(٢).

فاحذر يا أخي المسلم أن تقع في هذه المعصية فإنها من أسباب عذاب القبر، ثم إن الله ـ عز وجل ـ لا ينظر إلى صاحب هذه المعصية يوم القيامة، نسأل الله ـ تعالى ـ العفو والعافية.

١٠ ـ الحبس في القبر بسبب الدَّين:

ومما يضر الميت في قبره ما عليه من دَيْن، فعن سعد بن الأطول رضي الله عنه قال: إن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم وترك عيالاً، فأردت أن أنفقها على عياله، فقال النبي ﷺ: «**إن أخاك محتبس بدينه فاقض عنه**» فقال: يا رسول الله! قد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة، قال: «**فأعطها فإنها محقة**»(٣).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**هاهنا أحد من بني فلان**»، فلم يجبه أحد، ثم قال: «**هاهنا أحد من بني فلان**»، فلم يجبه أحد، ثم قال: «**هاهنا أحد من بني فلان**»، فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**ما منعك أن تجيبني في المرتين الأوليين أما إني لم أنوه بكم إلا خيراً، إن صاحبكم مأسور بدينه**» فلقد رأيته أدى عنه حتى ما بقي أحد يطلبه بشيء(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث: ٥٧٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٢٧٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب أداء الدين، حديث: ٢٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث: ١٩٨٨.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب في التشديد في الدين، حديث: ٣٣٤١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ٣٣٤١.

وعلى كل من عليه دين للآخرين أن يحرص عن أدائه في حياته، ودون تأخير أو مماطلة، فإنه لايدري متى يفجأه الموت، وينبغي عليه أن يكتبه في وصيته ويوثقه ويشهد عليه حتى لا تضيع الحقوق، ولا يدخل على الورثة ما ليس لهم، وليبرأ ذمته، ويقي نفسه من عذاب القبر.

أما من مات وعليه دين ولم يكن له مال، ولكن كان عازماً على القضاء فقد ثبت أن الله ـ عز وجل ـ يقضي عنه، ومثله من مات وله مال وكان عازماً على القضاء ولكن لم يقض ورثته دينه لظلمهم، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»(١).

١١ـ النياحة على الميت:

عندما طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه صهيب رضي الله عنه يبكي يقول: وا أخاه، وا صاحباه، فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب أتبكي علي، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الميت يُعذب ببعض بكاء أهله عليه**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الميت يُعذب في قبره بما نيح عليه**»(٣).

والنياحة هي: رفع الصوت بالندب، والندب: تعديد شمائل الميت بأن يقول: وا لهفاه، وا جبلاه...، وهو حرام وإن لم يكن معه بكاء(٤).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «جمهور أهل العلم منهم من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب من أخذ اموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، حديث: ٢٣٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث: ١٢٨٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث: ١٢٩٢، وأخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث: ٩٢٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/٥٠٨.

تأوَّل معنى الحديث على مَنْ وصَّى بأن يُبكى عليه، ويُناح بعد موته فنُفذت وصيته، فهذا يُعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم، لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: وأما من بكى أهله وناحوا عليه من غير وصية منه فلا يُعذّب لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]».

وقالت طائفة: «هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوص بتركهما، فمن أوصى بهما أو أهمل الوصية بتركهما يُعذّب بهما، لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما، فأما من وصّى بتركهما فلا يُعذّب بهما، إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه، وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بترك النياحة والبكاء عليه، ومن أهملهما عُذّب بهما»(١).

تنبيه: يجوز البكاء مع دمع العين وحزن القلب، ولا جناح على من صدر منه ذلك، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم، وإن الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه**»(٢).

والنبي ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم بكى رأفةً منه، ورحمةً للولد، ورقَّةً عليه، والقلب ممتلئ بالرضا عن الله ـ عز وجل ـ وشكره، واللسان مشتغل بذكره وحمده(٣).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَيْن، وكان ظئراً(٤) لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله!

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ٦/ ٥٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، حديث: ١٣٠٤.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/ ٤٨٠.

(٤) الظئر: يطلق على زوج المرضعة، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣/ ٢٠٧.

فقال: «**يا بن عوف إنها رحمة**»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(١)].

١٢ـ العمل الخبيث:

العمل الخبيث: هي المعاصي التي مات صاحبها عليها ولم يتب منها، فكل صاحب عمل خبيث ومعصية مات ولم يتب منها، فإن له نصيب من عذاب القبر، ـ إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمته ـ والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه «... **ويأتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بهوان من الله، وعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً في معصية الله، فجزاك الله شرّاً...**»[(٢)].

ومن المعاصي التي يعذب بها أصحابها في قبورهم: الكذب، وهجر القرآن الكريم، والنوم عن الصلاة المكتوبة، والربا، والزنا... ولقد رأى رسول الله ﷺ أنواعاً من عذاب القبر مما يُعذب به بعض العصاة بسبب معاصيهم، وقد جاء في حديث سمرة بن الجندب الطويل قال: كان رسول الله ﷺ مما يُكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال: ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان[(٣)]، وإنهما ابتعثاني[(٤)]، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون، الحديث: ١٣٠٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث: ١٨٦٣٧، ٤/ ٢٩٥، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب مجيء ملك الموت عند قبض الروح، حديث: ١١٤.

(٣) قال ابن حجر في الفتح، ١٢/ ٦٤ وفي حديث علي «رأيت ملكين» وسيأتي في آخر الحديث أنهما «جبريل وميكائيل».

(٤) قال أبو هبيرة: معنى ابتعثاني: أيقظاني، ويحتمل أن يكون رأى في المنام أنهما أيقظاه فرأى ما رأى في المنام ووصفه بعد أن أفاق على أن منامه كاليقظة. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٠.

على رجل مضطجع[١]، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي[٢] بالصخرة لرأسه فيثلغ[٣] رأسه فيتدهده[٤] الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يَصِحَّ رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى»، وجاء في تمام الحديث بيان حال هذا الرجل، قال النبي ﷺ: «**فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة**»[٥].

وفي ذلك دلالة على عذاب القبر لأصحاب معصيتين:

المعصية الأولى: وهي في حق من يهجر القرآن الكريم خاصة بعد تعلمه.

المعصية الثانية: وهي في حق من ينام عن الصلاة المكتوبة، وفي هذه المعصية يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥].

جاء في تفسير هاتين الآيتين أي: «فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها ولا يؤدونها في وقتها»[٦].

قال العلَّامة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والسهو عن الصلاة هو الذي يستحق صاحبه الذم والوعيد، وأما السهو في الصلاة فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ»[٧].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمه؛ لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما

---

(١) قال ابن حجر في الفتح ١٢/ ٤٦٠: وفي رواية مستلق على قفاه.

(٢) يهوي أي: يسقط. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٠.

(٣) فيثلغ: أي: يشدخه ويكسره، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

(٤) فيتدهده: أي: يتدحرج، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٦) انظر: التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص٦٠٢.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي ص٩٣٥.

رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس».

وقال أيضاً: «يحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل»[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: «هجر القرآن أنواع:

إحداها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

الثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

الثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين بل أدلته لفظية لا تحصل العلم.

الرابع: هجر تدبره وتفهّمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس: هجر الإستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[٢].

ومما جاء في حديث سمرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «**... فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكَلُّوب[٣] من حديد، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وجهه فيُشَرْشِر شدْقَه[٤] إلى قَفَاه، ومَنْخِرَه إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ـ قال: وربما قال أبو رجاء: فَيَشُقُّ ـ قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يَصِحَّ ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى...**».

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) انظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص١١٣.

(٣) الكلوب: حديد معوجة الرأس، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

(٤) يشرشر شدقه: يشرشر أي: يقطع شقّاً، والشدق جانب الفم، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

وقد جاء في تمام الحديث بيان حال ذلك المعذب في قبره وهو الكذاب، قال النبي ﷺ: «... **الذي يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**»(١).

وفي ذلك دلالة على أن الكذب من أسباب عذاب القبر.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وإنما استحق التعذيب لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وهو فيها مختار غير مكره ولا ملجأ»(٢).

ومما جاء في حديث سمرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «... **فأتينا على مثل التنور**(٣)، **ـ قال: فأحسب أنه كان يقول ـ فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوا**(٤)...»(٥).

وقد جاء في تمام الحديث أن العصاة المقصودين بتلك العقوبة الشنيعة هم الزناة من الرجال والزواني من النساء، قال النبي ﷺ: «**وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني**»(٦).

وفي ذلك دلالة واضحة على أن الزنا موجب لعذاب القبر.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى»(٧).

وهذه العقوبة الشنيعة للزنا توجب على كل مسلم ومسلمة الحذر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٥.

(٣) التنور: أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

(٤) ضوضوا: أي: ارتفعت أصواتهم وعلا صياحهم متألمين، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٥.

غايــة الحذر من هذا الذنب العظيم، بل والحذر من الأســباب التي تقرب إليه، قال الله تعالــى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

قــال العلَّامة ابن ســعدي ـ رحمه الله تعالــى ـ: «والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشــمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»(١).

وقد حذّر العلماء من الأسباب المقربة إلى كبيرة الزنا والوقوع فيها، قال العلامــة النســفي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهو نهــي عن دواع الزنا كالمس والقبلة ونحوهما»(٢).

وقال العلامة الآلوســي ـ رحمــه الله تعالــى ـ: «﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ بمباشرة مباديه القريبة أو البعيدة فضلاً عن مباشرته»(٣).

وقال العلامة القاســمي ـ رحمه الله ـ في تفســير قولــه تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، «وقدم ـ سبحانه وتعالى ـ غض البصر على حفظ الفرج؛ لأن النظر بريد الزنا»(٤).

وأيضاً من أســباب الوقوع في الزنا الاستماع إلى الأغاني المحرمة، وفي ذلك يقول شــيخ الإســلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فالغناء رقية الزنا، وهو من أعظم أسباب الوقوع في الفواحش»(٥).

ومن الأســباب أيضاً تبرج المرأة وخضوعها بالقول للرجال كما قال الله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص ٤٥٧.

(٢) تفسير النسفي، النسفي، ص ٦٢٢.

(٣) تفسير روح البيان، الآلوسي، ١٥/ ٨٧.

(٤) تفسير القاسمي، القاسمي ١٢/ ٤٥٠.

(٥) مجمــوع فتاوى شــيخ الإســلام ابن تيمية، جمع وترتيــب: عبدالرحمن بن قاســم وابنه محمد ١٠/ ٤١٧-٤١٨.

تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣].

قال العلَّامة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتلِنَّ في ذلك وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع ﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: مرض شهوة الزنا»(١).

قال العلَّامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «التبرج أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل»(٢).

وأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تخرج النساء متحجبات بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقد اختلف أهل التأويل في صفة إدناء الجلابيب عليهن:

١ـ فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن، فلا يبدين منهن إلا عيناً واحدة.

«قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن بحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة».

٢ ـ وقال آخرون: هو أن يشددن جلابيبهن على جباههن(٣).

وأيضاً من أسباب الوقوع في الزنا اختلاط النساء بالرجال، وسواء في أماكن العمل، أو التعليم، أو في الأسواق، أو مجامع الرجال عموماً، وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «لاريب أن تمكين النساء

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص٦٦٣.

(٢) تفسير فتح القدير، الشوكاني، ص١١٦٧.

(٣) تفسير الطبري، الطبري، ٦/ ٢٢٦.

باختلاطهن أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا»[١].

ومما جاء في حديث سمرة رضي الله عنه أنه قال: «... **فانطلقنا، فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له[٢] فاه، فيلقمه[٣] حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً...**».

وجاء في تمام الحديث أن تلك العقوبة الأليمة في حق آكل الربا، قال النبي ﷺ: «**وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر، ويلقم الحجر فإنه آكل الربا**»[٤].

وفي ذلك دلالة على أن أكل الربا من أسباب عذاب القبر.

قال الإمام أبو هبيرة ـ رحمه الله تعالى ـ: «إنما عوقب آكل الربا بسباحته في النهر الأحمر وإلقامه الحجارة، لأن أصل الربا يجري في الذهب، والذهب أحمر، وإما إلقاء الملك له الحجر فإنه إشارة إلى أنه لايغني عنه شيئاً، وكذلك الربا فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه يمحقه»[٥].

ولئن كان هذا العذاب لآكل الربا في القبر فإن ما بعد القبر أشد وأنكى.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «شرع الله ـ عز وجل ـ في ذكر آكل الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، فأخبر عنهم

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص٢٨١.

(٢) أي: يفتح. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٢.

(٣) أي: يرميه إياه، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٧٠٤٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/ ٤٦٥.

يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم ، فقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. أي: لايقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق»[١].

وقال العلَّامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «وليس المراد بقوله هنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله، بل هو عام لكل من يعامل بالربا، فيأخذه ويعطيه، وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله»[٢].

وقال العلَّامة ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فاللباس والسكن والادخار والإنفاق على العيال وغير ذلك كله داخل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ﴾»[٣].

وقال العلَّامة عبد الرحمن الدوسري ـ رحمه الله تعالى ـ: «نعم إن المرابي يُبعث يوم القيامة على ما عاش عليه في الدنيا، لايقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، لأن الخبط الذي كان طبيعة له في الدنيا بسبب حال المال أورثه الخبط في الآخرة، وأوقعه في ذلك الحجاب عن الله ـ تعالى ـ»[٤].

إن هذا الحديث وما قبله من الأحاديث التي جاء فيها ذكر عذاب القبر لأولئك العصاة الذين سبق ذكرهم لتنخلع منه القلوب، وتذرف له الدموع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٠٨.

(٢) فتح القدير ، الشوكاني ص١٨٩ .

(٣) تفسير ابن عطية، ابن عطية الأندلسي، ص٢٥٣ .

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن محمد الدوسري، ٣/ ٥١٧.

وجدير بمن قرأه وسمعه أن يكون على حذر وخوف شديدين من عذاب الله ـ عز وجل ـ وسخطه، وأن يحاسب نفسه، وأن يتقي الله ـ عز وجل ـ في نفسه وأهله وكل من له ولاية عليهم، وذلك بأن يعمل على وقاية نفسه وإياهم من سخط الله ـ تعالى ـ ومن عذاب القبر.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)].

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من المعاصي الموجبة لعذاب القبر فقال: «فعذاب القبر من معاصي القلب، والعين، والأذن، والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله.

* فالنمام، والكذاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والماضي في الفتنة.
* والداعي إلى البدعة.
* والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به.
* والمجازف في كلامه.
* وآكل الربا.
* وآكل أموال اليتامى.
* وآكل السحت من الرشوة والبرطيل[(٢)]، ونحوهما.
* وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، أو مال المعاهد.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث: ٨٩٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب في فضيلة الإمام العادل، حديث: ١٨٢٩.

(٢) البرطيل: الرشوة. انظر: سكب العبرات، د. سيد عفاني، ٢/ ٨٧.

* وشارب الخمر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة[١].
* والزاني، واللوطي.
* والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر.
* وآخذ الربا ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه.
* والمحلِّل، والمحلَّل له.
* والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه.
* ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم.
* والحاكم بغير ما أنزل الله.
* والمفتي بغير ما شرعه الله.
* والمعين على الإثم والعدوان.
* وقاتل النفس التي حرم الله.
* والملحد في حرم الله.
* والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها.
* والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ.
* والنائحة، والمستمع إليها.
* ونوّاحي جهنم وهم المُغَنُّون الغناء الذي حرمه الله ورسوله، والمستمع إليه.
* واللذين يبنون المساجد على القبور، ويوقدون عليها القناديل والسُّرُج.
* والمُطَفِّفُون في استيفاء مالهم إذا أخذوه، وهضم ما عليهم إذا بذلوه.
* والجبارون، والمتكبرون.
* والمراؤون.
* والهمّازون، واللمّازون.
* والطاعنون على السلف.

(١) الشجرة الملعونة: شجرة الحشيش. انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٧.

* والذين يأتون الكهنة والمُنجِّمين فيسألونهم، ويصدقونهم.
* وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.
* والـذي إذا خوّفته بالله وذكّرته به لم يَرْعَـوِ ولم ينزجر، فإذا خوّفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكفّ عما هو فيه.
* والذي يُهدى بكلام الله ورسـوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأسـاً، فإذا بلغه عمن يحسـن به الظن ممن يصيـب و يخطئ عضّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه.
* والذي يُقرَأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه، وربما استثقل به، فإذا سمع قرآن الشـيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سِرُّه وتواجد وهاج قلبه من دواعي الطرب، وودّ أنَّ المغني لا يسكت.
* والذي يحلف بالله ويكذب، فإذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين، لم يكذب ولو هُدِّدَ وعُوقب.
* والذي يفتخر بالمعصية ويَتَكَثَّر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر.
* والذي لا تأمنه على مالك وحريمك.
* والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه.
* والـذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرهـا ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً.
* والذي لا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه.
* والذي لا يحج مع قدرته على الحج.
* والذي لا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها.
* والذي لا يتورع من لحظه، ولا لفظه، ولا أكله، ولا خطوه.
* والذي لا يبالي بما حصّل من المال من حلال أو حرام.
* والذي لا يصل رحمه.

* والـذي لا يرحم المسـاكين، ولا الأرمل، ولا اليتيـم، ولا الحيوان البهيم.

* والذي يدعّ اليتيم، ولا يحضُّ على طعام المسكين، ويرائي العالمين.

* والذي يمنع الماعون.

* والذي يشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه.

فـكل هؤلاء وأمثالـه يُعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسـب كثرتها وقلتها ، وصغيرها وكبيرها.

ولمـا كان أكثر النـاس كذلك كان أكثـر أهل القبور مُعَذَّبـين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسـرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي بواطنها الدواهي والبليات، تغلي بالحسـرات كمـا تغلي القدور بما فيهـا، ويحق لها وقد حيـل بينها وبين شهواتها وأمانيها.

تـالله لقد وَعَظَتْ فما تركت لواعظ مقالاً، ونـادت يا عُمَّار الدنيا لقد عَمّرتم داراً موشـكة بكم زوالاً، وخرَّبتم داراً أنتم مسـرعون إليها انتقالاً، عَمّرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسـكناها، وخرّبتم بيوتاً ليس لكم مسـاكن سـواها، هذه دار الاستيفاء، ومستودع الأعمال، وبذر الزرع، وهذه محل للعبَر، رياض من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»[1].

نسأل الله الغفور الرحيم العفو الكريم لنا ولوالدينا وأهلينا وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسـلمين والمسـلمات المغفرة والرحمة والنجاة من عذاب القبر وعذاب النار اللهم آمين.

---

(١) الروح، ابن قيم الجوزية، ص ٢٦٥ـ ٢٦٧ .

المطلب الرابع:
أسباب النجاة من عذاب القبر

يمكن القول أن الأسـباب المنجية من عذاب القبر تنقسـم إلى قسمين: مجملة ومفصلة، و هي كما يلي:

القسم الأول:
الأسباب المجملة في النجاة من عذاب القبر

١ ـ محاسبة النفس وتجديد التوبة النصوح:

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في الأسباب المجملة المنجية من عذاب القبر: «أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ـ عز وجل ـ، فينام على تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل رَبَّه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفَّقه لذلك ولا قوة إلا بالله»[(١)].

٢ ـ تجنب الأسباب الموجبة لعذاب القبر التي سبق التطرق إليها[(٢)]:

لاريب أن اجتناب العبد لأسباب عذاب القبر تدفعه ليكون مستعداً للموت، ممهداً لنعيمه وسعادته في قبره، وذلك بالاشتغال والإكثار من الأعمال الصالحة، حتى إذا فاجأه الموت لم يعض أصابع الندم ولم يكن من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ـ ١٠٠].

وإنما يكون من الذين قال الله ـ عز وجل ـ عنهم: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا

(١) الروح، ابن قيم الجوزية، ص٢٦٨.

(٢) انظر: ص ٤٧ وما بعدها.

فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ [الروم: ٤٤].

قال العلاَّمة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: من الحقوق التي لله ـ تعالى ـ، أو للعباد الواجبة والمستحبة، ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾ لا لغيرهم، ﴿يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾: أي يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم...»[(١)].

وقال الإمام مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا التمهيد هو للقبر»[(٢)].

٣ ـ الاستقامة على طاعة الله ـ عز وجل ـ وفعل الصالحات:

الاستقامة على طاعة الله ـ عز وجل ـ والمداومة على الأعمال الصالحة ـ بعد رحمة الله تعالى ـ تقي العبد وتحفظه من عذاب القبر، وبها يجعل الله له من كل ضيق مخرجاً.

فقد جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول النبي ﷺ: «**ويأتيه** ـ وفي رواية يمثل له ـ **رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً...**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولوا عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه. فيؤتى من رأسه فتقول الصلاةُ: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يساره فتقول**

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص٦٤٣.

(٢) تفسير ابن عطية، ابن عطية الأندلسي، ص ١٤٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث: ١٨٦٣٧، ٤/ ٢٩٥، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب مجيء ملك الموت عند قبض الروح، حديث: ١١٤.

الـزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتـى من قبل رجليه فيقول فعـل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف إلى الناس ما قبلي مدخلٌ...»[١]

فوصيتي لنفسي ولكل مسلم ومسلمة المبادرة إلى اغتنام الحياة والأوقات في فعـل الأعمال الصالحة، فإن ما مضى من العمر لن يعود، والإنسـان لايعلم متى يفجؤه الموت ويغيبه في قبره، لذا المبادرة المبادرة باغتنام الأوقات في فعل الطاعات، وسـيجد ثمرة ذلك عندما يبشر عند موته برضوان الله ـ جـل جلاله ـ وجنته، وبالأمن فلا يخاف ممـا هو مقدم عليه من الموت والقبـر وأهوال يوم القيامة، ولا يحزن على ما فاته من أمور الدنيا من أهل وولـد ومال، وإذا ما وضع في قبره أمن من عذاب القبر برحمة الله أرحم الراحمين.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث: ٣١١٣.

القسم الثاني:
الأسباب المفصلة في النجاة من عذاب القبر

١ ـ تحقيق التوحيد[١]:

إن تحقيق المسلم للتوحيد، بحيث يكون حياته ومماته على التوحيد، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢] من أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من عذاب القبر والنار، ومن الأدلة على ذلك:

قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

قال العلّامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: وحده لا شريك له، ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على التوحيد ولم يلتفتوا إلى إله غير الله ـ تعالى ـ.

وقال الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

قال الإمام وكيع ـ رحمه الله تعالى ـ: «البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ والمعنى: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة، ولاتحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا من أهل وولد ومال»[٢].

---

(١) التوحيد: هو إفراد الله ـ تعالى ـ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ص ٨٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ص ١٣١٥ .

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن أولياؤكم، أي: قرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله ـ تعالى ـ، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم(١).

وجاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه سؤال الملكين للعبد المؤمن في قبره، قال النبي ﷺ: «**فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره**»(٢).

وقد يُصاب بعض الناس بالغفلة عن حقيقة التوحيد، ويغتر بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فهو يديرها على لسانه دون أن يفقه معناها، ولا يعمل بمقتضاها، يظنها مفتاحاً للجنة بمجرد نطقها باللسان غافلاً عن شروطها التي ينبغي أن تتحقق، ومقتضياتها التي ينبغي أن يعمل بها، لتكون مفتاحاً صالحاً لفتح أبواب الجنة الثمانية. وشهادة التوحيد هذه سبب دخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه.

فقد قيل للإمام للحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : إنَّ أُناساً

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٠١ .

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب، في المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث: ٤٧٥٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ٤٧٥٣.

يقولون: من قال لاإله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال: «من قال لاإله إلا الله، فأدى حقها وفَرْضَها دخل الجنة».

وقد استنبط العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ شروطاً لابد من توافرها مع انتفاء الموانع، حتى تكون كلمة «لا إله إلا الله» مفتاحاً للجنة، وهذه الشروط هي أسنان المفتاح، ولابد من أخذها مجتمعة، فإنَّ شرطاً منها لا يغني عن سائر الشروط، وهذه الشروط قد جمعها العلاَّمة الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه الله ـ في قوله:

العلم واليقين والقبول
والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة
وفقك الله لما يحبه

وسأشير إلى هذه الشروط السبعة بشيء من التفصيل:

أولاً: العلم:

إن لكل شيء حيقية ولكل كلمة معنى، فينبغي أولاً أن تُعلم معنى كلمة التوحيد «لاإله إلا الله» علماً منافياً للجهل في النفي والإثبات. ومن الأدلة على هذا الشرط قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

وما روى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات وهو يعلم أنه لاإله إلا الله دخل الجنة»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة، حديث رقم: ٢٦.

ثانياً: اليقين المنافي للشك:

ومعنى ذلك أن تستيقن يقيناً جازماً بمدلول كلمة التوحيد لأنها لا تقبل شكّاً ولا تردداً ولا ارتياباً، بل ينبغي أن تقوم على اليقين القاطع الجازم، فقد قال الله ـ تعالى ـ في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

فإن لم يحصل هذا اليقين فهو النفاق، والمنافقون هم الذين ارتابت قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»**(١).

ثالثاً: القبول:

وإذا علمت وتيقنت فينبغي أن يكون لهذا العلم اليقيني أثره، فيتحقق الشرط الثالث وهو: القبول لما اقتضت هذه الكلمة بالقلب واللسان.

رابعاً: الانقياد للتوحيد:

وهو المظهر العملي للإيمان ويتحقق هذا ويحصل بالعمل بما شرعه الله وبترك ما نهى عنه، وذلك هو الإسلام حقيقة، بأن يسلم العبد ويستسلم بقلبه وجوارحه لله ـ تعالى ـ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

خامساً: الصدق:

أي الصدق في كلمة التوحيد صدقاً منافياً للكذب والنفاق حيث يجب أن يواطئ قلبه لسانه ويوافقه، فإن المنافقين يقولون بألسنتهم، ولكن لم يطابق

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل أن من مات على التوحيد دخل الجنة. حديث رقم: ٢٧.

هذا القول ما في قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

سادساً: المحبة:

فيحب المؤمن هذه الكلمة ويحب العمل بمقتضاها، ويحب أهلها العاملين بها. وعلامة حب العبد لربه ـ عز وجل ـ: تقديم محابِّ ربه ـ عز وجل ـ وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه ـ عز وجل ـ وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله واقتفاء أثره وقبول هداه.

فعن أنس عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»**(١).

وفي حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: **«فإن الله قد حرَّمَ على النار من قال: لا اله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**(٢).

سابعاً: الإخلاص:

ومعناه صدق التوجه إلى الله ـ تعالى ـ وتصفية العمل بصالح النية عن كل شائبة من شوائب الشرك وألوانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم: ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، حديث رقم: ٤٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم: ٣٧.

وقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢].

٢ ـ قراءة سورة الملك تمنع وتنجي صاحبها من عذاب القبر، وتشفع له حتى يُغفر له:

ومما يكون سبباً في النجاة من عذاب القبر المحافظة على قراءة سورة الملك كل يوم بتدبر والعمل بما فيها، وذلك للأدلة الثابتة التالية:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن سورةً من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي: سورة تبارك الذي بيده الملك**»[(١)] وفي رواية عند أبي داود: «**سورة ثلاثون آية تشفع لصاحبها**[(٢)] **حتى غُفر له**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾»[(٣)].

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»[(٤)].

٣ ـ كذلك قوله رضي الله عنه قال: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة، منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب»، وفي رواية: «فقد أكثر وأطيب»[(٥)].

والمقصود أن من آمن بهذه السورة العظيمة، وحافظ على تلاوتها كل

---

(١) سبق تخريجه ص ٣.

(٢) «تشفع لصاحبها» أي: عمن يقرؤها في القبر أو يوم القيامة، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، المباركفوري، ٤/ ١٩٤.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، حديث ١٤٠٠، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ١٤٠٠.

(٤) سبق تخريجه ص ١٦.

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم: ١٠٥٤٧، ٦/ ١٧٩، والطبراني في المعجم الكبير، حديث: ١٠٢٥٤، ١٠/ ١٤٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧): ورجاله ثقات، وقال: (٣/ ٢٢١): وإسناده حسن.

ليلة، وعمل بما فيها من أحكام، فإنها تنجيه وتمنعه من عذاب القبر ،وتشفع له عند الله ـ عز وجل ـ حتى يغفر له بإذن الله ـ تعالى ـ.

وقد سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية: هل قراءة سورة الملك كل ليلة تشفع لصاحبها عند الموت؟ فأجابت اللجنة: «وعلى هذا يرجى لمن آمن بهذه السورة وحافظ على قراءتها ابتغاء وجه الله معتبراً بما فيها من العبر والمواعظ، عاملاً بما فيها من أحكام أن تشفع له»(١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في فضل سورة الملك: «احفظها وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية، وهي المجادلة تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له إلى بارئها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر»(٢).

فأوصي نفسي وإخواني المسلمين بتعلم هذه السورة العظيمة، وحفظها، والمحافظة على تلاوتها كل ليلة، وتدبر معانيها، والعمل بما فيها، والدعوة إليها، وتعليمها للأهل والأولاد والمسلمين، فإن الكَيِّسَ الذي علم فضل هذه السورة العظيمة، ثم هو يرجو لنفسه ولأهله النجاة من عذاب القبر، أن يحرص كل الحرص على هذا السبب المنجي من عذاب القبر ولا يتهاون به، فإنه من يخاف عذاب القبر يخاف مما بعده من العذاب.

فقد كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما**

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، جمع وترتيب، أحمد عبد الرزاق الدويش، فتوى رقم: ٩٦٠٤، ٤/ ٣٣٤.

(٢) انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، ص٢٧١.

بعده أشد منه» قال: وقال رسول الله ﷺ: **«ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه[١]»**[٢].

٣ ـ الاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ من فتنة القبر[٣] وعذاب القبر:

لما كانت فتنة وعذاب القبر من الأهوال الكبار، والشدائد العظيمة، فإن الرسول ﷺ كان يستعيذ من ذلك في صلاته، وغير الصلاة، وكان يأمر أصحابه وأمته بذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**[٤].

٤ ـ الشهادة في سبيل الله ـ تعالى ـ:

دلَّت الأحاديث الشريفة أن الشهيد يُجار من عذاب القبر، ولا يُفتن في قبره، ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما يلي:

* عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«للشهيد عند الله ستُّ خِصَال: يُغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في**

---

(١) أفظع منه أي: أشد وأشنع، انظر: سنن ابن ماجه وبحاشيته تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ٤/ ٥٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، حديث: ٢٣٠٨، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، حديث: ٤٢٦٧. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ٢٣٠٨.

(٣) فتنة القبر: سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: «ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، وأما المرتاب أو الكافر فيقول: هاه هاه، لاأدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»، انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٨/ ٤٨١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث: ٥٨٨.

سبعين من أقاربه»[١].

* وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[٢].

قال العلَّامة الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ: «تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة»[٣] بدليل قول النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[٤].

٥. الرباط[٥] في سبيل الله ـ تعالى ـ:

وذلك لما ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة منها ما يلي:

* عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِباطُ يومٍ وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأَمِنَ الفُتَّان**»[٦].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من مات مرابطاً في سبيل الله أُجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن**

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، حديث: ١٦٦٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ١٦٦٣.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الشهيد، حديث: ٢٠٥٢، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، حديث: ٢٠٢٥.

(٣) أحكام الجنائز وبدعها، الألباني، ص٥١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، حديث: ١٩٠٩.

(٥) الرباط: الإقامة في الثغر مقوياً للمسلمين على الكافرين، والثغر: كل مكان يخيف أهلُه العدو ويخيفهم، والرباط فضله عظيم وأجره كبير، وأفضله ما كان في أشد الثغور خوفاً. انظر: المغني، ابن قدامة، ١٣/١٨ـ٢٠.

(٦) سبق تخريجه ص ٣٥.

من الفُتَّان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع»[١].

* عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل الميت يختم على عمله، إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فُتّان القبر**»[٢].

والفُتَّان جمع فاتن، أي: فتانيه وهما: منكر ونكير، وتروى بفتح الفاء: فَتَّان من المبالغة في الفتنة. ويحتمل أن يكون المراد: أن الملكين لا يجيئان إليه ولا يختبرانه، بل يكفي موته مرابطاً في سبيل الله شاهداً على صحة إيمانه، ويحتمل أنهما يجيئان إليه لكن لا يضرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة[٣].

ولقد كان السلفنا الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ يحرصون على الرباط في سبيل الله ـ تعالى ـ طمعاً في ثوابه العظيم مع ما لهم من موفور العمل الصالح وسلامة الاعتقاد.

ويُرجى من الله ـ عز وجل ـ أن يدخل في عموم الرباط في سبيل الله ـ تعالى ـ، رباط رجال الأمن، الذين يعملون ليل نهار لحفظ أمن المسلمين وحراسة مصالحهم في عموم الجهات إذا احتسبوا عملهم لوجه الله ـ تعالى ـ، وفي هذا السياق يقول النبي ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله، حديث: ٢٧٦٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث: ٢٢٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط، حديث: ٢٥٠٠، وأخرجه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، حديث: ١٣٢١. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ٢٥٠٠.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، ٧/ ١٢٨.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، حديث: ١٦٣٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ١٦٣٩.

٦ـ الموت بداء البطن (المبطون):

وهو الذي يموت بمرض بطنه، فعن عبد الله بن يسار رضي الله عنه قال: كنت جالساً وسليمان بن صُرَد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلاً توفى مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره**» فقال الآخر: بلى[(١)]. وفي رواية: قال الآخر: صدقت[(٢)].

وقد عد النبي ﷺ المبطون من بين الشهداء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهداء خمس: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[(٣)].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «المبطون: هو صاحب داء البطن وهو الإسهال، وقيل هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الذي يشتكي بطنه، وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً»[(٤)].

٧ـ الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[(٥)].

ومعنى قوله: «**يوم الجمعة أو ليلة الجمعة**» الظاهر أن (أو) للتنويع لا للشك.

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب من قتله بطنه، حديث: ٢٠٥١، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، حديث: ٢٠٥١.

(٢) اخرجه ابن حبان في صحيحه، باب نفي عذاب القبر عمن مات من الإطلاق، حديث: ٢٩٣٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، حديث: ١٩١٤.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٣/ ٥٥.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، حديث: ١٠٧٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث: ١٠٧٤.

وقوله: «**إلا وقاه الله**» أي: حفظه.

وقوله: «**فتنة القبر**» أي: عذابه وسؤاله، وهو يحتمل الإطلاق والتقييد، والأول هو الأَولى بالنسبة إلى فضل المولى، وهذا يدل على أن شرف الزمان له تأثير عظيم كما أن فضل المكان له أثر جسيم[١].

نصيحة في الاستعداد للقبر:

إخواني وأخواتي: إن من شدائد القبر وكربه: ظلمته، وضيقه، وضغطته التي لا ينجو منها أحد، الكبير والصغير، والصالح والطالح، والذكر والأنثى، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ**»[٢].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**هذا ـ يعني سعد بن معاذ ـ الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فرج عنه**»[٣].

ومما يدل على أن ضغطة القبر تشمل الصبيان ما روى أبو أيوب رضي الله عنه أن صبيّاً دُفِنَ فقال رسول الله ﷺ: «**لو أُفلِتَ أحدٌ من ضمة القبر لأُفلِتَ هذا الصبيُّ**»[٤].

قال العلَّامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن للقبر ضغطة، أي ضيقاً لا ينجو منه صالح ولا طالح، ولكن الكافر يدوم ضغطه والمؤمن لا،

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٤/ ١٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: ٢٢٤٣٥٢، ٦/ ٥٥، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣١١٢، ٧/ ٣٧٩، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ١٢٩٧٥، ١٢/ ٢٣٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ١٦٩٥، ٤/ ٢٦٨.

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته، حديث رقم: ٢٠٥٤، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، حديث رقم: ٢٠٥٤.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ٣٨٥٨، ٤/ ١٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: ٥٢٣٨

والمـراد به التقاء جانبيه على الميت... إذ ما من أحد إلا وقد أَلَمَّ بخطيئة، فـإن كان صالحاً فهذا جزاؤه ثم تدركـه الرحمة... وقيل: أصل ذلك أن الأرض أُمُّهـم، منها خُلِقُوا فغابوا عنها طويـلاً فَتَضُمُّهُم ضَمَّةَ والدة غاب عنها ولدها، فالمؤمن برفق، والعاصي بعنف غضباً عليه»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: «**دلوني على قبره**»، فدلوه فصلى عليهـا، ثم قال: «**إن هـذه القبور مملوءة ظلمة على أهلهـا، وإن الله ـ عز وجل ـ ينورها لهم بصلاتي عليهم**»[(٢)].

ولنعلم أن القبر بما فيه من نعيم أو عذاب لا يأتي إلا بعد الموت، والموت قـدر الله ـ تعالى ـ وقضاؤه علـى خلقـه جميعاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠].

والموت إذا جاء لا يسـتأذن أحداً، ولا يقـرع باباً، ولا يمهل أحداً لكي يتـوب أو يعمل صالحاً، بل يأتي بغتة في أجل محدد، لا يقبل التقديم أو التأخيـر، ولو لثانية واحـدة، قال الله تعالـى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

ومـادام الأمركذلك فإن أكيس الناس وأعقلهم هو الذي ذكره النبي ﷺ بقوله حينما سُـئل: أي المؤمنين أكيس؟[(٣)]، قال: «**أحسـنهم خلقاً**»، قيل:

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٢/ ٦٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، حديث رقم: ٩٥٦ .

(٣) أكيس: أعقل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٢١٨ .

فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً ،وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس**»(١).

وأما من تمكنَّت الدنيا وزينتها وشهواتها من قلبه ، فإنه لا يذكر الموت ولا القبر، ومن لم يكن له الموت وما بعده من القبر وأهوال يوم القيامة واعظاً، فلا تنفعه موعظة ولا ذكرى.

إنَّ ذكر الموت وسكراته وكرباته وما بعده من القبر وظلمته ووحشته وضيقه وعذابه، إنَّ ذلك التذكر يعتبر أعظم وسيلة لإصلاح الإنسان نفسه وغيره، ومبادرته إلى التوبة النصوح، ومسارعته إلى الإكثار من الأعمال الصالحة. ولنعلم أن الإنسان يموت على ما كان يعمله في حياته من طاعة أو معصية، فالجزاء من جنس العمل، والأعمال بالخواتيم، وقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ بالمداومة على طاعته وعبادته حتى يأتينا الموت لنظفر بالخاتمة الحسنة عند الموت وننجو من عذاب القبر وكرباته، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي: داوموا على تمسككم بإسلامكم إلى أخر حياتكم لتلقوا الله وأنتم عليه(٢).

ومن داوم على تمسكه بإسلامه وطاعة ربه إلى آخر حياته فإنه يُرجى له الخير من الله ـ عز وجل ـ، وأن يختم الله ـ عز وجل ـ له بعمل صالح فيدخل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله**»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم: ٤٢٥٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم: ٣٤٥٤.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، ص٦٣ .

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: ٢١٤٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: ٢١٤٢.

وعلـــى العكس من ذلك فإن حبَّ المعصية والتعلق بها واعتيادها، وعدم التوبة منها من أخطر أســـباب سوء الخاتمة وعذاب القبر؛ لأن من كان هذا حاله ـ والعياذ بالله تعالى ـ فإن الشـــيطان يســـتولي على فكره وقلبه حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة الشهادة، لأن المعصية التي كان يحبها ويألفها قد طغت على تفكيره ومشاعره، فيتكلم بما كان تعلقه وانشـــغاله به، فيموت عليه ويُختم له بالخاتمة السيئة ـ نسأل الله السلامة والعافية من سوء الخاتمة ـ.

المبحث الرابع:
التفسير العام للسورة

تمهيد:

سورة تبارك على اسمها فهي سورة مباركة، كثيرة البركات، ومن بركتها أن آياتها الثلاثين تضم من المعاني العظيمة، والفوائد الجليلة، ما تعجز عن حصرها الكتب والمجلدات التي تنوء بحملها الجبال، وفي هذه الرسالة سأورد بعضاً منها، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبارك فيها وينفع بها كاتبها وقارئها ومن أعان على نشرها، وأُذَكِّر إخواني وأخواتي بمنهج السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ في العلم والعمل بالقرآن الكريم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه».

قيل لشريك: من العمل؟ قال: نعم[1].

المنهج في تفسير سورة تبارك:

ولكي ننتفع بهذه السورة المباركة وننجو بها من عذاب القبر ـ بإذن الله تعالى ورحمته ـ ينبغي أن نتعلم هذه السورة ونفهمها لنعمل بها، فإن العلم يسبق العمل.

وقد جعلت منهجي في تفسير هذه السورة كما يلي:

١ ـ قمت بتجزئة آيات السورة إلى ستة مقاطع متسلسة[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث: ٢٣٨٢٩، ٥/ ٤١٠ وأخرجه الحاكم في المستدرك، حديث: ٢٠٩١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. واللفظ للحاكم.

(٢) وهذا منهج الإمام الحافظ المفسر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره.

٢ ـ ثم ذكرت معاني مفردات كل مقطع من مقاطع الآيات.

٣ ـ ثم ذكرت المعنى الإجمالي لكل مقطع من مقاطع الآيات.

٤ ـ ثم قمت بتفسير آيات كل مقطع معتمداً ـ بعد الله عز وجل ـ على تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ . وبعض أقوال المفسرين ـ رحمهم الله تعالى ـ لإضافة بعض الفوائد التي لم يذكرها ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ.

٥ ـ ذكرت بعض أوجه القراءات في الآيات لكل مقطع ـ إن وُجِدَتْ ـ.

٦ ـ قمت ببيان الهداية المستفادة من آيات كل مقطع (باختصار).

٧ ـ اختتمت بذكر الجوانب البلاغية في آيات كل مقطع، مما له صلة بتفسير وبيان معاني هذه الآيات الكريمات.

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا

وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ
بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ
وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ
هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ
إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟
فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن
يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى
ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ
أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

الآيات: [١ ـ ٥]:

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الآيات: ١ ـ ٥].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
١	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾	تعاظم وكثر خير الذي بيده الملك أجمع، ملكاً وتصرفاً وتدبيراً.
٢	﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾	ليختبركم في الحياة.
٢	﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾	أخلصه وأصوبه، أي: أوفقه للكتاب والسنة، وأخلصه لوجه الله ـ تعالى ـ .
٢	﴿ٱلْعَزِيزُ﴾	القوي الشديد المنتقم ممن عصاه وخالف أمره.
٢	﴿ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾	الغفور لذنوب عباده لمن تاب ورجع إليه.
٣	﴿طِبَاقًا ۖ﴾	بعضها فوق بعض من غير مماسة.
٣	﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	خلق الرحمن للسماوات ولغيرهن.
٣	﴿تَفَٰوُتٍ ۖ﴾	تباين وعدم تناسب.
٣	﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾	أعده إلى السماء كرَّة بعد كرَّة.
٣	﴿فُطُورٍ ۝٣﴾	صدوع وشقوق .
٤	﴿كَرَّتَيْنِ﴾	مرتين ، مرة بعد مرة .

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

رقم الآية	الكلمة	معناها
٤	﴿يَنقَلِبْ﴾	يرجع.
٤	﴿خَاسِئًا﴾	ذليلاً، صاغراً، راجعاً لم ينل غايته.
٤	﴿حَسِيرٌ ۝٤﴾	متعب، كليل، مرهق؛ لأنه بعد طول بحث ونظر لم يجد فطوراً ولا شقوقاً.
٥	﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾	القريبة إلى الأرض.
٥	﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾	أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.
٥	﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾	أي مراجم جمع مرجم وهو ما يُرجم به، أي يُرمى.
٥	﴿وَأَعْتَدْنَا﴾	هيأنا .
٥	﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾	عذاب النار المستعرة الشديدة الاتقاد.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

مَجَّدَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه وأخبر أن بيده الملك والتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، وهو القدير على كل شيء، ثم أخبرنا بأنه قدَّر الموت والحياة ليبلوكم فينظر مَنْ منكم أخلص له عملاً، وهو ذو العزة الغالب على أمره، الغفور لمن أذنب ثم تاب وأقلع عنه، ثم أردف ذلك بأنه خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض لا خلل فيها ولا عيب، فانظر أيها الرائي أترى فيها شقّاً أو عيباً؟ ثم أعد النظر وحدّق البصر، لتستيقن تمام تناسبها واستواء خلقها، وقد زينا أقرب السماوات إليكم بكواكب يهتدي بها الساري، ويُعلم بها عدد السنين والحساب، وعليها تتوقف حياة الحيوان والنبات، وهي أيضاً سبب الأرزاق المهيجة لشهوات شياطين الإنس والجن، وهؤلاء قد استمدوا شيطنتهم من مظاهر الطبيعة بوساطة الحرارة والضوء من الكواكب، وبذا أعد لهم عذاب السعير جزاء ما اقترفوا في حياتهم الدنيا[1].

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «يمجد الله ـ تعالى ـ نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ استدلَّ بهذا الآية من قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق، ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم، أي: يختبرهم أيهم أحسن عملاً، كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

فسمى الحال الأولى وهو العدم موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي خيرٌ عملاً، كما قال محمد بن عجلان ـ رحمه الله ـ، ولم يقل أكثر عملاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝﴾ أي: هو العزيزُ العظيم المنيعُ الجناب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه، وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره، وإن كان ـ تعالى ـ عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

ثم قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى: أنهن علويات بعضهن على بعض، أو متفاصلات بينهن خلاء؟ فيه قولان: أصحهما الثاني: كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره.

وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾، أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص، ولا عيب ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝﴾ أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ أي: شقوق.

وعن السدي ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ أي: من خروق.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية: ﴿مِن فُطُورٖ ۝٣﴾، أي: من وهاء.

وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ أي: هل ترى خللاً يابن آدم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾، قال قتادة ـ رحمه الله ـ: مرتين.

وقوله تعالى: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا﴾، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذليلاً، وقال مجاهد وقتادة: صاغراً.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾، قال ابن عباس ـ رضي الله عنما ـ: يعني وهو كليل.

وقال مجاهد وقتادة والسدي ـ رحمهم الله تعالى ـ: الحسير: المنقطع من الإعياء.

ومعنى الآية: أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك، أي: لرجع اليك البصر ﴿خَاسِئًا﴾ أي: عن أن يرى عيباً أو خللاً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾، أي: كليل، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً، ولما نفى عنها ـ السموات ـ في خلقها النقص بَيَّنَ كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يُرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾، أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدينا، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى، كما قال تعالى في أول الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠].

قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: إنما خُلقت هذه النجوم بثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به[١].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقوله تعالى: «﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ تبارك وتعاظم الله الذي بيده ملك الدنيا والآخرة، وأمره وقضاؤه نافذٌ فيهما، وهو قدير على كل شيء شاءه وأراده، لا يمنعه مانع من فعله»[٢].

وجاء في التفسير الميسر في تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ تعالى الله وتعاظم عما سواه ذاتاً وصفات وفعلاً، وتكاثر خيره وبرُّه على جميع خلقه، الذي بيده ملك الدنيا والآخرة، وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه، وهو على كل شيء قدير»[٣].

قال العلامة ابن عطية الأندلسي ـ رحمه الله تعالى ـ: «﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مختص بالله ـ تعالى ـ، لم يُستعمل في غيره، ولا اسم فاعل، وهو صفة فعل، أي: كثرت بركاته»[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٣٩٦ـ ٣٩٧.

(٢) تفسير الطبري، الطبري، ٧/ ٣٦٠.

(٣) التفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، ص٥٦٢.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص١٣٧٤

وصيغة التفاعل في ﴿تَبَرَكَ﴾ تفيد المبالغة بتعاليه وتقديسه عما سواه على أكمل وجه وأبلغه، وهذا اللفظ ﴿تَبَرَكَ﴾ فعل ماض لا يتصرف، إذ لا يجيء عن العرب منه مضارع ولا أمر، وذهب كثير من العلماء إلى أن هذه الكلمة ﴿تَبَرَكَ﴾ نظراً لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم فإنه لا يجوز استعمالها في حق غير الله كما في صيغة «تعالى، سبحانه»(١).

وذكر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: في معنى ﴿تَبَرَكَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: تفاعل من البركة.

الثاني: أن ﴿تَبَرَكَ﴾ بمعنى ـ تعالى ـ.

الثالث: أن المعنى باسمه يُتبرك في كل شيء.

الرابع: أن معنى ﴿تَبَرَكَ﴾ تقدَّس، أي: تطهر(٢).

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، قال قتادة ـ رحمه الله ـ: أذلَّ الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فعل الله ذلك ليبلوكم ويختبركم، فينظر أي الناس أطوع له، وأسرع إلى طلب مرضاته(٣).

وقال القاضي الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: «﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، مصطفى العمادي، ٦/ ٢٧٣، وانظر، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ١٨٨، وانظر: روح المعاني، الآلوسي، ١٧/ ٢٩٧، وانظر: تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عطر، ص٣٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٣/ ٢١٤.

(٣) تفسير الطبري، الطبري، ٧/ ٣٦٠.

هو أخلص العمل وأطيبه، قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وما أطيبه، قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]. فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، مراداً به وجه الله ـ تعالى ـ، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم، فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول ﷺ لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده، فلولا العلم لما كان عمله مقبولاً، فالعلم هو الدليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة»[١].

قال العلَّامة المراغي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: «﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . . . فيه ترغيب في الطاعات وزجر عن المعاصي كما لايخفى على ذوي الألباب، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ أي: وهو القوي الشديد الانتقام ممن عصاه وخالف أمره، الغفور لذنوب من أناب إليه وأقله عنها»[٢].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، . . . وتسمى الكواكب مصابيح لإضاءتها. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ أي: جعلنا شهبها، وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يُرجم بها، وقيل: إن الضمير راجع إلى المصابيح، على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه، إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوؤه ولا صورته.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ١/ ٨٢.

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٧٤ .

قال أبو علي ـ رحمه الله تعالى ـ جواباً لمن قال: كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى؟

قال القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأمثل من قول أبي علي أن نقول: هي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين»[١].

رابعاً: أوجه القراءات:

قوله تعالى: ﴿مِن تَفَـٰوُتٍ﴾ قرأها ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه وحمزة والكسائي ـ رحمهم الله تعالى ـ ﴿تفوُّت﴾ مشدداً بدون ألف، وهما لغتان كالتعاهد والتعهد، والتحامل والتحمل، والمعنى على القراءتين: ماترى في خلق الرحمن من تناقض، ولا تباين، ولا اعوجاج، ولا تخالف، بل هي مستقيمة دالة على خالقها، وإن اختلفت صورها وصفاتها[٢].

قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأها الخوارزمي عن الكسائي ـ رحمهما الله تعالى ـ بالرفع ﴿ينقلبُ﴾ وذلك على أن الجملة في موضع حال مقدرة[٣].

خامساً: هداية الآيات:

١ ـ تقرير ربوبية الله ـ تعالى ـ بعرض دلائل القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة وهي موجبة لألولهيته أي: عبادته من دون سواه ـ عز وجل ـ.

٢ ـ بيان الحكمة من خلق الموت والحياة وهي ابتلاء العباد لِيُرَى أيهم أخلص لله ـ تعالى ـ في طاعته، وأكثر تمسكاً واتباعاً لهدي النبي ﷺ.

٣ ـ وجوب تحقيق الإخلاص لله وحده لا شريك له، ومتابعة سنة نبيه محمد ﷺ في العبادة، وأن العلم هو الدليل على الإخلاص والمتابعة.

٤ ـ بيان الحكمة من خلق النجوم، وهي في قول الإمام قتادة ـ رحمه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٠.

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ٢٩/ ١٣.

الله تعالى ـ: أن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها[١].

سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، تبارك: صيغة «تفاعل» للمبالغة في تعاليه ـ عز وجل ـ عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله، وهذه الصيغة يجوز أن تكون لإفادة نماء الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً، وحيناً فحيناً، بحسب حدوث متعلقاتها.

ونظراً لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره ـ سبحانه ـ، ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه ـ تبارك وتعالى ـ.

وهذا الاستفتاح في بداية هذه السورة يظهر فيه براعة استهلال لاشتمالها على عظمة الله ـ عز وجل ـ وربوبيته، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة وذروة البلاغة، حتى كان ذلك الاستهلال داعياً للاستماع لما بعده، وذلك لما فيه من ثناء على الله ـ عز وجل ـ أثناه على نفسه، تعليماً للناس كيف يثنون على الله ويحمدونه[٢].

* **فائدة التقديم بقوله تعالى:** ﴿تَبَٰرَكَ﴾: فائدة ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ بيان عظمة الله ـ عز جل ـ الذي بيده ملكوت كل شيء، كما قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣]: ، فالتقديم بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحمل معنى التنزيه، تنزيه الله ـ عز وجل ـ الذي بيده ملكوت كل شيء عن كل عيب أو نقص.

فمعنى ﴿تَبَٰرَكَ﴾: تكاثرت البركات والخيرات مِنْ قِبَله، وذلك يستلزم عظمته وتقدسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، لأن مَنْ تأتي مِنْ قِبَلِه

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٣٩٥.

(٢) انظر: من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٣٣ـ ٣٤.

البـركات والخيرات ويدرُّ الأرزاق على الناس هـو وحده المتفرد بالعظمة، واسـتحقاق إخلاص العبادة له، والذي لا تأتي مِنْ قِبَلِه بركة ولا خير ولا رزق كالأصنام وسـائر المعبودات من دون الله ـ تعالى ـ لا يصح أن يُعبد، وعبادته كفرمخلِّد في نار جهنم.

وقد أشـار ـ تعالى ـ إلى هـذا بقولـه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبـوت: ١٧]، وقـوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣][(١)].

* **سـبب تقـديم المـوت علـى الحيـاة فـي قولـه تعالـى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾:

قيل: لأن أصل الأشياء عدم الحياة، والحياة عارضة.

وقيل: المراد الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

وقيـل: إن مـن نصب الموت بـين عينيه في الدنيـا كان أقوى داعية إلى العمل، فذكر ما هو عندهم أخوف.

وقيل: المراد بالموت حيث كانوا ترابـًا، كقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨][(٢)].

وقال بعض أهل العلم: لأن الموت أقرب إلى القهر كان أقرب[(٣)].

* **فـي الآيـة طباق بين «الحيـاة، الموت» في قولـه تعالـى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾.

---

(١) انظر: التسهيل لتأويل التنزيل، تفسير جزء تبارك، مصطفى بن العدوي، ص١١ـ١٢.

(٢) الروض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان، ٢/ ٥٠٣.

(٣) انظر: فتح القدير، الشـوكاني، ص ١٥١٠. وانظر: التسـهيل لتأويل التنزيل، تفسير جزء تبارك، مصطفى بن العدوي، ص ١٣.

* **في تعريف الموت والحياة بأل**: ليتعين جنس الموت وجنس الحياة أي كل ما هو موت وكل ما هو حياة[١].

* **الاستفهام في قوله تعالى**: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: للتحضيض والحث على حسن العمل[٢].

* **سبب تقديم «العزيز» على «الغفور» في قوله تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ لما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر صفة اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[٣].

* **إضافة الخلق إلى الرحمن في قوله تعالى**: ﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: إشعاراً بأن ذلك التناسب أثر الرحمة؛ لأنه مدار نظام العالم، وكذلك في إضافة الخلق إلى الرحمن تعظيم لله ـ تعالى ـ تعظيماً يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى خلق الكون بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً، وأغدق علينا بإبداعه نعماً جليلةً عظيمةً، وأن تنسيقه وجعله متناسباً من رحمته ـ تعالى ـ بخلقه[٤].

* **قوله تعالى**: ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، **ولم يقل** ﴿فيهن﴾: تنبيهاً على قدرة الله الباهرة وعظمته ـ عز وجل ـ وتعظيماً لخلقهن[٥].

* **الاستفهام في قوله تعالى**: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾: يدل على تقرير وتأكيد عدم وجود الخلل أو الصدوع أو الاختلاف وفيه تأكيد حثّ الذي ينظر إلى السماء على التبصر والتأمل، فلا يقتنع بنظرة واحدة أو نظرتين، وإنما عليه أن يكرر النظر، ويؤكد البحث عن الفطور ولكنه لا يرى إلا سماءً محبوكة ملتئمة فلا يرى فيها إنشقاقاً، ولذلك كان انفطار السماء وانشقاقها

---

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٧.

(٣) تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، ص٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص٤٢.

(٥) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ٣٩.

علامـــة على انقراض الحياة وقيـام الســاعة، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشـقاق: ١]. وقال الله تعالـى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١][١].

* **فـي الآيات إطناب** بتكرار الجملة مرتين وذلك زيادة في التذكير والتنبيه في قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾.

* **اسـتخدام لفظ ﴿ينقلـب﴾ أي: يرجع في قوله تعالـى:** ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ اسـتخدم ذلك اللفظ لما فيه من إشعار الرجوع بخيبة أمل من يريد رؤية الانشـقاق أو الاختلاف فيه، كما نقول: أراد فلانٌ شيئاً ولكنه انقلب عليه.

وقيل: أنه من خسـأ الكلب، وفي ذلك اسـتعارة تمثيلية لما فيه من طرد وقهر واحتقار ومبالغة في تأكيد الرجوع بعدما أراد الناظر من رؤية الخلل أو العيب، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ فقد شـبه هيئة مـن يطول النظر ويبحث عن رؤية خلـل أو عيب بهيئة الكلب الذي يريد شيئاً ولكنه لم يحصل عليه فيطرد بقهر واحتقار، والجامع بينهما هو وجود شيء لا يستطيع الوصول إليه[٣].

* قولـه تعالـى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: بعد لفت النظر إلى خلو السماوات عن الخلل والقصور جاءت هذه الآية تبين أن السماوات في غاية الحسن والبهاء والجمال، والتنكير في ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ للتنويع، أي: مصابيح ليست من جنس مصابيحكم، وكلمة مصابيح استعيرت للكواكب المضيئة بالليل[٤].

---

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ٤٣.

(٣) تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، ص٤٤.

الآيات: [٦ ـ ١١]:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الآيات: ٦ ـ ١١].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
٦	﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾	أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه
٦	﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾	بئس المرجع والمآب الذي يرجعون إليه يوم القيامة
٧	﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا﴾	أي إذا ألقتهم الملائكة في جهنم يوم القيامة
٧	﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾	أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً مزعجاً كصوت الحمار.
٧	﴿وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾	تغلي.
٨	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ﴾	أي : تكاد تتقطع وينفصل بعضها عن بعض من الغيظ غضباً على الكفار.
٨	﴿فَوْجٌ﴾	جماعة
٨	﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾	سألهم حراسها القائمون عليها المكلفون بها سؤال توبيخ وتقريع.
٨	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾	أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة.
٩	﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾	أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نَزَّلَ الله مما تقولون لنا من شيء.

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

رقم الآية	الكلمة	معناها
٩	﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝﴾	أي ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال كبير أي ذهاب عن الحق بعيد.
١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾	أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم، و قالوا: لو كنا في الدنيا نسمع، أي سماع تفهم؛ أو نعقل أي عقل تفكر ما كنا اليوم في أصحاب السعير.
١٠	﴿فَسُحْقًا﴾	بُعداً. والسحيق: البعيد. والمراد: أبعدهم الله عز وجل عن رحمته

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن ذكر ـ سبحانه ـ أن شياطين الإنس والجن قد أَعَدَّ لهم عذاب السعير، أردف ذلك ببيان أن هذه النار قد أعَدَّها لكل جاحد بوحدانيته، مكذب برسله، منكر للبعث واليوم الآخر، ثم وصف النار بأوصاف تشيب من هولها الولدان، وتصطك لسماعها الأسنان، منها:

١ ـ أنه يُسمع لها شهيق حين يُلقى الكافرون فيها.

٢ ـ أنها تفور بهم كما يفور ما في المرجل حين يغلي.

٣ ـ أنها تكون شديدة الغيظ والحَنَق على من فيها.

٤ ـ أن خزنتها يسألون داخليها: ألم تأتكم الرسل فتبعدكم عن هذا العذاب؟

٥ ـ أن أهلها يعترفون بأن الله ـ تعالى ـ ما عذبهم ظلماً، بل قد جاءهم الرسل فكذبوهم وقالوا لهم: أنتم في ضلال بعيد.

٦ ـ دعاء الملائكة عليهم بالبعد من رحمة الله ـ تعالى ـ وألطافه، وكرمه وإحسانه[١].

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٠.

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ﴿و﴾ أعتدنا ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ أي: بئس المآل والمنقلب، ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ: يعني الصياح، ﴿وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ قال الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير.

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحَنَقها بهم، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ يذكر ـ تعالى ـ عدله في خلقه وأنه لا يُعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر: ٧١].

وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة ونَدمُوا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري الطائي قال: أخبرني مَنْ سمعه مِنْ رسول الله ﷺ أنه قال: «**لن يَهْلِكَ الناسُ حتى يَعذِرُوا أو يُعذروا من**

أنفسهم»[١][٢].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ من النذر ـ أي الرسل ـ ما جاءوا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عنهم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله، أو لو كنا نسمع سماع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من يميّز وينظر.

ودلَّ هذا على أن الكافر لم يُعط من العقل شيئاً... قال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: بتكذيبهم الرسل، ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ أي: فبُعداً لهم من رحمة الله ـ تعالى ـ.

وقال سعيد بن جُبير وأبو صالح ـ رحمهما الله ـ: هو وادٍ في جهنم يقال له: السَّحْق[٣].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «إن الله ـ تعالى ـ وصف أهل النار بالجهل وأخبر أنه سد عليهم طرق العلم، فقال ـ تعالى ـ حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ فأخبروا أنهم كانوا لايسمعون، ولا يعقلون، والسمع والعقل هما أصل العلم وبهما يُنال»[٤].

قال العلاّمة الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضاً، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟!!

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: ﴿لَوْ كُنَّا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث: ١٨٣٤٢، ٤/ ٢٦٠ وأبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث: ٤٣٤٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث: ٤٣٤٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٣٩٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٨٧.

(٤) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ١/ ٥٩.

نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي: السمع لما أنزل الله ـ تعالى ـ وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والإنزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيَّدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله ﷺ علماً ومعرفة وعملاً.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم ـ في الإيمان ـ بحسب ما منَّ الله ـ تعالى ـ عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمنُّ على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير[1].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ اعتراف العبد بقيام حجة الله ـ تعالى ـ عليه من لوزم الإيمان، أطاع أم عصى، فإن حجة الله ـ تعالى ـ قامت على العبد بإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله ـ تعالى ـ به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لايعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، فإذا عاقبه على ذنبه عاقبه بحجته على ظلمه، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص٨٧٦.

(٢) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ١/ ٢٣٢-٢٣٣

قال الإمام ابن عطية الأندلسي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾. الآية تقتضي أنه لا يُلقى فيها أحدٌ إلا سئل ـ على جهة التوبيخ ـ عن النُذُر، فأقروا بأنهم جاؤوهم وكذبوهم. وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا﴾ حَصْرٌ، فإذاً الآية تقتضي في الأطفال من أولاد المشركين وغيرهم ومن نُقدره صاحب فترة أنهم لا يدخلون النار لأنهم لم يأتهم نذير...[(١)].

قال الدكتور عمر الأشقر ـ حفظه الله تعالى ـ: «يخدم أهل الجنة ولدان ينشئهم الله ـ تعالى ـ لخدمتهم، يكونون في غاية الجمال والكمال...، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هؤلاء الولدان الذين يموتون صغاراً من أبناء المؤمنين أو المشركين، وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ هذا القول وبين أن الولدان المخلدون هم خلق من خلق الجنة، فقال: «الولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خلق من خلق الجنة، ليسوا بأبناء أهل الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة يَكْمُل خلقهم كأهل الجنة على صورة آدم... وأما أولاد المشركين، فأصح الأجوبة فيهم جواب رسول الله ﷺ كما في الصحيحين: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**»[(٢)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين من يموت منهم صغيراً؟ فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(٣)]، فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار، ويروى أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ص١٨٧٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، الحديث: ١٣٥٩، وأخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، الحديث: ٢٦٥٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث: ٢٦٥٩.

فمن أطاع الله ـ تعالى ـ حينئذ دخل الجنة، ومن عصى دخل النار»[١].

رابعاً: أوجه القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦﴾ قرأ الجمهور برفع ﴿عذابُ﴾ على أنه مبتدأ، وقرأ الحسن والضحاك والأعرج نصبه عطفاً على ﴿عذابَ السعير﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ قرأ الجمهور ﴿تميز﴾ بتاء واحدة مخففة، والأصل: ﴿تتميز﴾ بتاءين، وقد قرأ طلحة بتاءين على الأصل، وقرأ البزي عن ابن كثير بتشديدها بإدغام إحدى التاءين في الأخرى، وقرأالضحاك ﴿تمايز﴾ بالألف وتاء واحدة، والأصل ﴿تتمايز﴾، وقرأ زيد بن علي ﴿تميز﴾ من ماز يميز[٣].

قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا﴾ قرأ الجمهور بتسكين الحاء، وقرأالكسائي، وأبو جعفر بضمها، وهما لغتان مثل: السحت والرعب[٤].

خامساً: هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري فيها من عذاب وعقاب.

٢ ـ بيان أن تكذيب الرسل كفر موجب للعذاب، وتكذيب العلماء كتكذيب الرسل بعدهم، أي في وجوب العذاب المترتب على ترك طاعة الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ.

٣ ـ بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التدين تأخر عقلي ونظر رجعي.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ٤/ ٣١١ ـ ٣١٢، وانظر: اليوم الآخر الجنة والنار، عمر الأشقر، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١١.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٢.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٣.

٤ ـ تقرير أن الكافر لا يسمع ولا يعقل أي: لا يسمع سماعاً ينفعه ولا يعقل عقلاً يحجزه عن المهالك باعتراف أهل النار إذ قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾[١].

سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* قوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ فيه استعارة مكنية تخيلية حيث شبهت النار بمن له شهيق، ثم حذف المشبه به وكان من لوازمه الشهيق والزفير على سبيل الاستعارة المكنية، التي تجسد المعنوي فتصوره بصورة محسوسة لتؤثر فيمن كان له قلب فيخاف من عقاب الله ـ تعالى ـ، فيتجنبه، فالقرآن الكريم يُجسّم المعنى، ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس[٢].

* قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ فيه استعارة مكنية، حيث شبه جهنم في شدة غليانها ولهبها بإنسان شديد الغيظ والحنق على عدوه، يكاد يتقطع من شدة الغيظ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الغيظ الشديد[٣].

* نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾: استفهام إنكار للتوبيخ والتقريع والتنديم ليزيدهم حسرة[٤].

* قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾: أُضيف الذنب المفرد إلى الجمع في الآية لأنه بمعنى الجمع، كأنه قال: فاعترفوا بذنبوبهم، تقول: خرج عطاء الناس، وخرج أعطيةُ الناس[٥].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٣٩٧.

(٢) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريرد، ص ٥٠.

(٣) صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، ٣/ ٤٢١.

(٤) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ٥٢.

(٥) تفسير الطبري، الطبري، ٧/ ٣٦٤.

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ قدم السمع على العقل؛ لأن الإنسان يسمع أولاً ثم يعقل ثانياً فالسمع مقدم على العقل(١).

وجمع بين السمع والعقل؛ لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل، واحتج بالآية من فضل السمع على البصر؛ لأنه ـ تعالى ـ جعل مناط الفوز السمع، ولم يذكر البصر، واحتج بأنه قدم السمع على العقل تنبيهاً على أنه لا بد أولاً من إرشاد المرشد وهداية الهادي، وأجيب بأن سبب التقديم هو أن المكلف لا بد أن يسمع قول الرسول ﷺ ثم يتفكر فيه(٢).

وكلمة ﴿أَو﴾ بمعنى الواو، كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤].

* قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ قال القيسي: إنما وحد الذنب والإخبار عن جماعة؛ لأن الذنب مصدر يقع على القليل والكثير(٣).

* قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ إطناب بتكرار الجملة مرتين زيادة في التذكير والتنبيه.

* قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ أصحاب السعير هم الشياطين، والكفار داخلون في عدادهم بطريق التغليب، وقوله ﴿فَسُحْقًا﴾ مصدر وقع موقع الدعاء، أي فأسحقهم سحقاً.

* وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ ولم يقل ﴿من أصحاب السعير﴾ فإنه لما فصل بينهم وبين أصحاب السعير كان أصل

---

(١) الروض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين الحسين ابن سليمان ابن ريان، ٢/٥٠٨.

(٢) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٨.

الكلام: فســـحقاً لهم ولأصحاب السعير، وإنما عدل عنه إلى ما ذكر تغليباً لأصحاب الســـعير عليهم، للتحقير والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه الإيجاز[١].

(١) تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، ص٥٠.

الآيات: [١٢ ـ ١٥]:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الآيات: ١٢ ـ ١٥].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
١٢	﴿يَخْشَوْنَ﴾	يخافون خوفاً شديداً.
١٢	﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	أي يخافون ربهم وهم لم يروه، وقيل: يخشون ربهم في حالة غيابهم عن أعين الناس.
١٢	﴿مَّغْفِرَةٌ﴾	عفو من الله عن ذنوبهم.
١٢	﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾	الجنة.
١٤	﴿ٱللَّطِيفُ﴾	الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها ـ البر بعباده الرحيم بهم.
١٥	﴿ذَلُولاً﴾	أي سهلة للمشي والسير عليها.
١٥	﴿مَنَاكِبِهَا﴾	فجاجها وطرقها وجوانبها.
١٥	﴿ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾	الخروج من القبور بعد الموت للحساب والجزاء.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن أوعد الكفار بما أوعد، وبالغ في ترهيبهم بما بالغ، وعد المؤمنين بالمغفرة والأجر الكريم، ثم عاد إلى تهديد الكافرين بأنه عليم بما يصدر

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

منهم في السر والعلن، وأقام الدليل على ذلك بأنه هو الخالق، فلا يخفى عليه شيء من أمرهم، بل يصل علمه إلى ظواهر أمورهم وبواطنها، ثم عدَّدَ نعماءه عليهم، فذكر بأنه عبَّد لهم الأرض وذللها لهم، وهيأ لهم فيها منافع من زروع وثمار ومعادن، فليتمتعوا بما أوتوا، ثم إلى ربهم مرجعهم، وإليه بعثهم ونشورهم(١).

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول الله ـ تعالى ـ مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكفُّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله ـ تعالى ـ بأنه له مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ، أي: تُكفَّرُ عنه ذنوبه، ويُجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: «**سبعة يظلهم الله ـ تعالى ـ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**» فذكر منهم: «**رجلٌ دعته إمرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»(٢).

وقال الحافظ أبو بكر البزار ـ رحمه الله تعالى ـ في مسنده: حدثنا طالوت ابن عباد، حدثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، قال: قالوا: يا رسول الله؛ إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقناك كنا على غيره؟ قال: «**كيف أنتم وربكم؟**» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية، قال: «**ليس ذلكم النفاق؟**»(٣).

---

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٢-١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، حديث: ٦٦٠، وأطرافه في الأحاديث: (١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث: ١٠٣١.

(٣) أخرجه البزار، حديث: ١٠، (١/ ٦٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٩: رواه أبو يعلى (٣٣٦٩، إلا أنه قال: ونبيكم)، والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

ثم قال الله ـ تعالى ـ منبهاً على أنه مُطَّلِعٌ على الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ أي: بما يخطر في القلوب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالق. وقيل معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول أولى، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارَّةً ساكنةً، لا تميدُ، ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع، ومواضع الزُّروع والثِّمار. فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أنَّ سعيكم لا يُجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره الله ـ تعالى ـ لكم، ولهذا قال: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً**»(١).

فأثبت لها رواحاً وغدوّاً لطلب الرزق مع توكلها على الله ـ عز وجل ـ، وهو المُسخر المُسير المُسبب، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ أي: المرجع يوم القيامة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد والسدي وقتادة ـ رحمهم الله تعالى ـ: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أطرافها وفجاجها ونواحيها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ الجبال.

وعن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فقال: لأم ولده: إن علمتِ ما ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ فأنت عتيقة، فقالت: هي الجبال. فسأل أبا

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، حديث: ٢٣٤، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث: ٤١٦٤، وصححه الترمذي في صحيح سنن الترمذي، حديث: ٢٣٤.

الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: هي الجبال[١].

قال العلَّامة الشيخ محمد أمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾.

الخشية: شدة الخوف، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وبين الله ـ تعالى ـ محل تلك الخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، لأنهم يعرفون حق الله ـ تعالى ـ ويراقبونه، وقد بين الله ـ تعالى ـ حقيقة خشية الله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: ٣١]، فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق الله ـ تعالى ـ عليهم، ومراقبته إياهم في السر والعلن، ويعلمون أنه ـ سبحانه ـ مطلع عليهم مهما تخفوا وتستروا، وهم دائماً منيبون إلى الله، كما قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق: ٣٢ ـ ٣٣]، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله ـ تعالى ـ، كما بيَّن أنها منزلة العلماء، وقد عاب الله ـ تعالى ـ على أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ـ تعالى ـ، ويخشون الناس ولا يخشون الله ـ تعالى ـ، فالله ـ جل جلاله ـ أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين... والواقع أن هذه الصفة، وهي خشية الله ـ تعالى ـ بالغيب، والإيمان بالغيب أساس عمل المسلم كله، ومعاملاته، لأنه بإيمانه بالغيب سيعمل كل خير طمعاً في ثواب الله ـ تعالى ـ، كما في مستهل المصحف: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ ـ ٣]، وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤/ ٧٤ ـ ٧٥.

سـوء، فيسلم ويتحصل له ما قال الله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ مغفرة من ذنوبه ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ على أعماله، رزقنا الله ـ تعالى ـ خشيته في السر والعلن، وليعلم أن المراد بالغيب إنما هـو من جانب العبد لا سـيده، كما في الحديث في الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تـراه فإنـه يراك**»، وهذا الإحسـاس هو أقوى عامل على اكتساب خشية الله ـ سبحانه وتعالى ـ»[1].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ . . . يعنـي: إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد ﷺ أو جهـرتم به فـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ يعني: بما في القلوب من الخير والشـر، وقيل: في سائر الأقوال، ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ أعلنوه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ ذات الصدور ما فيها.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً﴾ أي: سهلة تستقرون عليها، والذلول: المنقاد الذي يذل لك، والمصدر: الذل وهو اللين والانقياد، أي لم يجعل الأرض يمتنع المشـي فيها بالحزونة والغلظة، وقيل: أي ثبتها بالجبال لئلَّا تزول بأهلها.

وقيل: أشار إلى التمكن من الزرع والغرس والشق العيون والأنهار وحفر الآبار[2].

قال الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ اختلف أهل العلم في المراد بالمناكب:

١ ـ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: جبالها.

٢ ـ وقال آخرون: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: أطرافها ونواحيها.

---

(١) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ٨/ ٣٩٩ ـ ٤٠١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٨٨.

٣ ـ وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: طرقها وفجاجها.

والراجح هو القول الثاني، فالمناكب من الأرض هي نواحيها وجوانبها، لأنها نظيرُ مناكب الإنسان التي هي أطرافه.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ كلوا من رزق الله الذي أخرجه لكم من مناكب الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ إلى الله نشركم وبعثكم من قبوركم[١].

قال الإمام الفخر الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ في وجه ارتباط الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً﴾ بالآية التي قبلها: «اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه ـ تعالى ـ بيَّن بالدلائل كونه عالماً بما يسرون وما يعلنون، ثم ذكر بعده هذه الآية على سبيل التهديد، ونظيره: من قال لعبده الذي أساء إلى مولاه في السر: يافلان، أنا أعرف سرك وعلانيتك، فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك، كل هذا الخير الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي فإني إن شئت جعلت هذه الدار التي هي منزل أمنك مركز سلامتك منشأً للآفات التي تتحير فيها، ومنبعاً للمحن التي تهلك بسببها، فكذا ههنا، كأنه قال ـ تعالى ـ: أيها الكافرون، اعلموا أني عالم بسركم وجهركم، فكونوا خائفين مني محترزين من عقابي، فهذه الأرض التي تمشون في مناكبها، وتعتقدون أنها أبعد الأشياء عن الإضرار بكم، أنا الذي ذللتها إليكم وجعلتها سبباً لنفعكم، فامشوا في مناكبها، فإنني أن شئت خسفت بكم هذه الأرض، وأنزلت عليها من السماء أنواع المحن، فهذا هو الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها»[٢].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في وصف الأرض بالذلول أقوال:

أحدها: أنه ـ تعالى ـ ما جعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشي عليها،

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، ٧/ ٣٦٥.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ١٠/ ٥٩١.

كما يمتنع المشي على وجوه الصخر الخشنة.

ثانيها: أنه ـ تعالى ـ جعلها لينة بحيث يمكن حفرها، وبناء الأبنية منها كما يراد، ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك.

ثالثها: أنها لو كانت حجرية أو كانت مثل الذهب والحديد، لكانت تسخن جداً في الصيف، وكانت تبرد جداً في الشتاء، ولكانت الزراعة فيها ممتنعة والغراسة فيها متعذرة، ولما كانت كفاتاً للأموات والأحياء.

رابعها: أنه ـ تعالى ـ سخرها لنا بأن أمسكها في جو الهواء، ولو كانت متحركة على استقامة، أو على الاستدارة لم تكن منقادة لنا[1].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ أخبر ـ سبحانه ـ أنه جعل الأرض ذلولاً منقادة للوطء عليها، وحفرها وشقها والبناء عليها، ولم يجعلها متصلبة ممتنعة على من أراد ذلك منها، وأخبر ـ سبحانه ـ أنه جعلها مهاداً وفراشاً، وبساطاً وقراراً، وأخبر أنه دحاها وطحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وثبتها بالجبال، ونهج فيها الفجاج والطرق، وأجرى فيها الأنهار والعيون، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها، ومن بركتها أن الحيوانات كلها وأرزاقها وأقواتها تخرج منها، ومن بركتها أنك تودع فيها الحب، فتخرجه لك أضعاف أضعاف ما كان، ومن بركتها أنها تحمل الأذى على ظهرها، وتخرج لك من بطنها أحسن الأشياء وأنفعها، فتواري منه كل قبيح، وتخرج منه كل مليح، ومن بركتها أنها تستر قبائح العباد وفضلات بطنه وتواريها، وتضمه وتؤويه، وتخرج طعامه وشرابه، فهي أحمل شيء للأذى وأعوده للنفع، فلا كان من التراب خيراً منه وأبعد من الأذى وأقرب من الخير.

والمقصود أنه ـ سبحانه ـ جعل الأرض كالجمل الذلول، الذي كيفما

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ١٠/ ٥٩١.

يُقاد ينقاد، وحسن التعبير بمناكبها عن طرقها وفجاجها لما تقدم من وصفها بكونها ذلولاً، فالماشي عليها يطأ على مناكبها، وهو أعلى شيء فيها، ولهذا فسرت المناكب بالجبال كمناكب الإنسان، وهي أعاليه، قالوا: وذلك تنبيه على أن المشي في سهولها أيسر، وقالت طائفة: بل المناكب الجوانب والنواحي، ومنه مناكب الإنسان لجوانبه.

والذي يظهر أن المراد بالمناكب الأعالي، وهذا الوجه الذي يمشي عليه الحيوان وهو العالي من الأرض دون الوجه المقابل له، فإن سطح الكرة أعلاها، والمشي إنما يقع في سطحها، وحسن التعبير عنه بالمناكب لما تقدم من وصفها بأنها ذلول، ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذي أودعه فيها، فذلَّلها لهم ووطَّأها، وفتق فيها السبل والطرق التي يمشون فيها، وأودعها رزقهم، فذكر تهيئة المسكن للانتفاع، والتقليب فيه بالذهاب والمجيء، والأكل مما أودع فيه للساكن.

ثم نبه بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ على أنَّا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين، بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذه وطناً ومستقرّاً، وإنما دخلناه لنتزود منه إلى دار القرار، فهو منزل عبور لا مستقر حبور، ومعبر وممر لا وطن ومستقر.

فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته ووحدانيته وقدرته وحكمته ولطفه ـ سبحانه وتعالى ـ، والتذكير بنعمه وإحسانه، والتحذير من الركون إلى الدنيا واتخاذها وطناً ومستقراً، بل نسرع فيها إلى السير إلى داره وجنته، فلله ما في ضمن هذه الآية من معرفته، وتوحيده، والتذكير بنعمه، والحث على السير إليه، والاستعداد للقائه، والقدوم عليه، والإعلام بأنه ـ سبحانه ـ، يطوي هذه الدار كأن لم تكن، وأنه يحيي أهلها بعد ما أماتهم، وإليه النشور»[1].

(١) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص٤١ ـ ٤٢.

قال العلاَّمة المراغي ـ رحمه الله ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ أي: أن ربكم هو الذي سخر لكم الأرض وذللها لكم، فجعلها قارَّةً ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأوجد فيها من العيون، لسقيكم وسقي أنعامكم وزروعكم وثماركم، والسعي في الأرزاق لا ينافي التوكل على الله ـ تعالى ـ. فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خِماصاً، وتروح بِطاناً**»(١). فأثبت لها غدوّاً ورواحاً لطلب الرزق مع توكلها على الله ـ عز وجل ـ وهو المسخر الميسر المسبب»(٢).

وقوله: «**حق توكله**»: بأن تعلموا يقيناً أن لافاعل إلا الله ـ تعالى ـ، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو، ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل.

وقوله: «**تغدو**» أي: تذهب أول النهار.

وقوله: «**خِماصاً**» جمع خميص، أي: جياعاً.

وقوله: «**وتروح**» أي: ترجع آخر النهار.

وقوله: «**بِطاناً**» جمع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد شباعاً(٣).

وقال العلامة المناوي ـ رحمه الله ـ عند شرحه للحديث السابق: «أي تغدو بكرة وهي جياعٌ، وتروح عشاءً وهي ممتلئة الأجواف، أرشد بها إلى ترك الأسباب الدنيوية والاشتغال بالأعمال الأخروية ثقةً بالله ـ تعالى ـ وبكفايته»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، حديث رقم: ٢٣٤٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: ٣٢٤٤.

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٧/ ٧.

(٤) فيض القدير، المناوي، ٥/ ٣٩٦.

رابعاً: هداية الآيات:

١ ـ فضيلة الإيمان بالغيب، وخشية ومراقبة الله ـ تعالى ـ في السر والعلن، وأن ذلك من أعظم مقامات العبودية التي رتب الله ـ تعالى ـ عليها المغفرة والأجر الكبير.

٢ ـ يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ تحذير العبد من مباشرة السيئات سراً، بعيداً عن أعين الناس؛ لأنه مفضوح أمام رب الناس، وفي الآية الكريمة: إثبات كمال علم الله ـ تبارك وتعالى ـ الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، بل الخفيات في علمه ـ عز وجل ـ كالظاهرات.

٣ ـ مشروعية السير في الأرض لطلب الرزق من التجارة والفلاحة وغيرهما.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ دلالةٌ على ربوبية الله ـ عز وجل ـ، ووحدانيته، وقدرته، وحكمته، ولطفه، والتذكير بنعمه وإحسانه، والتحذير من الركون إلى الدنيا واتخاذها وطناً ومستقرّاً، والحث على السير إلى الله ـ تعالى ـ وجنته، والاستعداد للقائه والقدوم عليه، والإعلام بأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يرث الأرض ومن عليها، ويُحيي أهلها بعد ما أماتهم وإليه النشور.

٥ ـ السعي في الأرزاق المشروعة لا ينافي التوكل على الله ـ تعالى ـ.

٦ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء[1].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٣٩٩.

خامساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* لما قال عز وجل: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ قابله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وهذا من المحسنات البديعية.

* قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾، فقوله عز وجل: ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ للتعظيم فهي مغفرة عظيمة الشأن، ولا يعلم مداها إلا الله ـ عز وجل ـ، وقوله عز وجل: ﴿وَأَجْرٌ﴾ التنكير هنا للتعظيم والتهويل لأن عظم الأجر لا يعلم مقداره إلا الله ـ جل جلاله ـ.

* قوله عز وجل: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ﴾ بين الفعلين «أسروا، اجهروا» طباق أدى إلى تداعي المعاني حين تنتقل النفس من النقيض إلى النقيض، ومن الضد إلى الضد، فتتضح المعاني وتتمكن في النفس لأنها تقرن بأضدادها.

وصيغة الفعلين «أسروا، اجهروا» للتسوية؛ لأن الله ـ تعالى ـ يعلم السر والجهر؛ لأنه عليم بذات الصدور، لأن الإسرار والإعلان سواء في علم الله ـ تعالى ـ، لأنه يحيط علماً بكل شيء، لذلك كانت صيغة المبالغة ﴿عَلِيمٌ﴾ لأنه القوي علمه، المحيط بكل شيء[1].

* السر في تقديم السر على الجهر في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ﴾ للإيذن بافتضاح أمرهم، ووقوع ما يحذرون على كل حال أسروا أو جهروا، ولأن مرتبة السر مقدمة على مرتبة الجهر، فما من شيء يجهر به إلا وهو أو مبادئه مضمر في النفس[2].

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً﴾ فيه استعارة مكنية حيث شبهت الأرض بالبعير وحذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه وهو

---

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٦٣.

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٣.

التذليل في قوله ﴿ذَلُولاً﴾ فقربت المعنى إلى الأفهام[١].

وفيه أيضاً تقديم ﴿لَكُمُ﴾ على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنها للاهتمام بما قُدِّم، والتشويق إلى ما أُخِّر[٢].

* قوله جل جلاله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ مثلٌ لفرط التذليل، فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه، فإذا جُعِل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل[٣].

* قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ أي: التمسوا من نعم الله ـ تعالى ـ وتخصيص الأكل بالذكر لكونه أهم وأعم[٤].

---

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٦٧.

(٢) تفسير أبي السعود، محمد بن محمد مصطفى العمادي، ٦/ ٢٧٨.

(٣) المرجع السابق، ٦/ ٢٧٨.

(٤) تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، ص٥٤.

الآيات: [١٦ ـ ١٩]:

قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الآيات: ١٦ ـ ١٩].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
١٦	﴿تَخْسِفَ﴾	يجعلها تغور فتصبحون في جوفها
١٦	﴿تَمُورُ﴾	تتحرك بكم وتضطرب وترتفع فوقكم
١٧	﴿حَاصِبًا﴾	ريحاً ترميكم بالحصباء
١٧	﴿نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾	عاقبة إنذار لكم بالعذاب بأنه حق
١٨	﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾	إنكاري على الأمم التي قبلكم الكفر والتكذيب بإهلاكهم، أي إنه حق
١٩	﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾	باسطات أجنحتها
١٩	﴿وَيَقْبِضْنَ﴾	يضممنها بعد البسط
١٩	﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾	من الوقوع على الأرض في حال البسط والقبض

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ ما أعده للكافرين من نار تلظى، ووصف هذه النار بما تشيب به الولدان، أردف ذلك بترهيبهم وتخويفهم بأنهم لا يأمنون أن يحلَّ بهم في الدنيا، مثل ما حلَّ بالمكذبين بالرسل من قبلهم، من

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

خسف عاجل تمور به الأرض موراً، أو ريح حاصب تهلك الحرث والنسل، ولا تبقي منهم ديَّاراً ولا نافخ نار، ثم ضرب لهم المثل بما حل بالأمم قبلهم من ضروب المحن والبلاء، فقد أُهلكت ثمود بصاعقة لم تبق ولم تذر، وأُهلكت عاد بالريح الصرصر العاتية التي سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً متتابعة، وأهلك فرعون وقومه بالغرق في بحر القلزم (البحر الأحمر)، ثم لفت أنظارهم إلى باهر قدرته وعظيم منته على عباده، فطلب منهم أن يروا الطير وهي تبسط أجنحتها في الجو تارة وتضمها أخرى، بتسخير الله وتعليمه ما هي في حاجة إليه[1].

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : «وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال تعالى ههنا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ أي: تذهب وتجيء وتضطرب، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: ريحاً فيها حصباء تدمغكم، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: ٦٨].

وهكذا توعَّدهم ههنا بقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذَّب به، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السالفة والقرون الخالية، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٥.

أي: عظيماً شديداً أليماً، ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: تارة يصففن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾، أي: في الجو، ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ أي: بما سخَّر لهن في الهواء من رحمته ولطفه، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩](١).

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: «﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: ريح فيها حجارة وحصباء، وقيل: سحاب فيه حجارة، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري، وقيل: النذير بمعنى المنذر، يعني: نبينا محمد ﷺ، فستعلمون صدقه، وعاقبة تكذيبكم، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾ أي: كما ذلّل الأرض للآدمي ذلّل الهواء للطير»(٢).

قال العلاَّمة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ هذا تهديد ووعيد لمن استمر في طغيانه وتعديه وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة.

وقال العلاَّمة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ هذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء تَصُفُّ لها أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤/ ٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٩٠

فتظل سابحة في الجو مترددة فيها بحسب إرادتها وحاجتها[١].

قال العلاَّمة الشيخ محمد أمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: «﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ دليل على قدرته ـ تعالى ـ وآية لخلقه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: ٧٩]. فهي آية على القدرة، وقد جاء في آيات أخرى أنه ـ تعالى ـ هو الذي يمسك السموات والأرض بقدرته ـ جل وعلا ـ، كما في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١]. فهو ـ سبحانه ـ ممسكهما بقدرته ـ تعالى ـ عن أن تزولا، ولو قدّر ـ فرضاً ـ زوالهما لا يقدر على إمساكهما إلا هو، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

ولعل مما يستدعي الانتباه توجيه النظر إلى الطير في الهواء صافات، ويقبضن: ما يمسكهن إلا الرحمن، بعد التخويف بخسف الأرض بأن الأرض معلقة في الهواء كتعلق الطير المُشاهد إليكم، ما يمسكها إلا الله ـ تعالى ـ، وإيقاع الخسف بها، كإسقاط الطير من الهواء، لأن الجميع ما يمسكه إلا الله ـ تعالى ـ، وهو القادر على الخسف بها، وعلى إسقاط الطير»[٢].

رابعاً: أوجه القراءات:

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ قرأ الجمهور بهمزتين، وقرأ البصريون والكوفيون بالتخفيف، وقرأ ابن كثير بقلب الأولى واواً[٣].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص٨٧٧.

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ٨/ ٤١٠ ـ ٤١١.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٣.

خامساً: هداية الآيات:

١ ـ يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، إثبات العلو لله ـ تعالى ـ كما يليق بجلاله ـ سبحانه ـ، كما يؤخذ من الآية الكريمة أن الأمن الذي ينكره الله ـ تعالى ـ على الناس، وهو الأمن الذي تصاحبه الغفلة عن طاعة الله ـ تعالى ـ وعن انتقامه، فيقدمون على المعاصي ولا يبالون بغضب الله ـ تعالى ـ وأليم عقابه، ويتركون أوامر الله ـ تعالى ـ، ولا ينظرون إلى ما حولهم من سنن الله ـ تعالى ـ في خلقه، فيحملهم هذا الأمان على مزيد من التمرد والعصيان[1].

٢ ـ تحذير المعرضين عن الله ـ تعالى ـ وإنذارهم بسوء العواقب إن استمروا على إعراضهم، فإن الله ـ عز وجل ـ قادر على أن يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم حاصباً من السماء، وليس هناك من يؤمنهم ويجيرهم بحال من الأحوال إلا إيمانهم وإسلامهم لله ـ عز وجل ـ.

٣ ـ في الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حي، وعقل يعقل به.

٤ ـ من آيات الله ـ تعالى ـ في الآفاق الدالة على قدرة الله ـ عز وجل ـ، وعلمه، ورحمته، الموجبة لعبادته وحده، طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه، ويقبضهما ولا يسقط، إذ المفروض أن يبقى دائماً يخفق بجناحيه يدفع نفسه فيطير بمساعدة الهواء، أما إذا قبض أو بسط المفروض أنه يسقط ولكن الرحمن ـ عز وجل ـ يمسكه فلا يسقط[2].

سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ فبعد أن وجه الله ـ عز وجل ـ الخطاب للكفرة والمشركين والمكذبين تذكيراً وتهويلاً وتهديداً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ التفت عن

(١) انظر: التسهيل لتأويل التنزيل «تفسير جزء تبارك»، مصطفى العدوي، ص٣١.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٤٠١.

خطابهم إلى الإخبار عنهم بحالة الغيبة تعريضاً بالغضب عليهم بما أتوه من تكذيب للرسول ﷺ، فكانوا جديرين بإبعادهم على الحضور بالخطاب، ولذلك لم يقل ﴿ولقد كذب الذين من قبلكم﴾ ولم يقطع توجيه التذكير إليهم والوعيد لعلهم يتدبرون في أن الله لم يدّخرهم نصحاً[١].

* قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ الاستفهام إنكاري، فنُزّلوا منزلة من لم ير أحوال الطير؛ لأنهم لم يعتبروا بها ولم يهتدوا إلى دلالتها على انفراد خالقها بالإلهية[٢].

والاعتبار بالطير ناسب المقام إذ قد تقدم الحاصب في الكلام، وقد أهلك الله ـ تعالى ـ أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به، ففيه تذكير لقريش بهذه القصة[٣].

* الفرق بين قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩]. أن الله ـ عز وجل ـ ذكر الطير في سورة النحل بأنهن ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ فكان إمساكها في جو السماء بمحض القدرة الإلهية، وقال ـ عز وجل ـ في سورة الملك: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ فكان إلهامها إلى الصف والقبض على وجه المنفعة لها والرحمة فقال: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[٤].

* في الآيات سجع، مثل قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) انظر: من بلاغة سورة الملك، عائشة حسين فريد، ص٧٤ ـ ٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) تفسير سورة الملك، أحمد بن سلميان باشا، تحقيق: حسن ضياء الدين عطر، ص ٥٥.

(٤) الروض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين ابن ريان، ٢/٥٠٩.

الآيات: [٢٠ ـ ٢٧]:

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآيات: ٢٠ ـ ٢٧].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
٢٠	﴿جُندٌ﴾	أعوان
٢٠	﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾	مَن غيره يدفع عنكم عذابه.
٢٠	﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	ما الكافرون
٢٠	﴿فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾	غرّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.
٢١	﴿أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ﴾	المطر، أي: إن أمسك رزقه لا أحد غيره يرسله.
٢١	﴿لَّجُّوا۟﴾	تمادوا
٢١	﴿عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾	تكبر وتباعد عن الحق
٢٢	﴿يَمْشِى مُكِبًّا﴾	واقعاً على وجهه
٢٢	﴿يَمْشِى سَوِيًّا﴾	معتدلاً ومستقيماً
٢٣	﴿أَنشَأَكُمْ﴾	خلقكم
٢٣	﴿ٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾	القلوب

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

رقم الآية	الكلمة	معناها
٢٤	﴿ذَرَأَكُمْ﴾	خلقكم
٢٥	﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾	وعد الحشر
٢٦	﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	العمل بمجيئه عند الله لا غير.
٢٧	﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾	رأوا العذاب قريباً.
٢٧	﴿سِيٓـَٔتْ﴾	تغيرت واسودت.
٢٧	﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾	العذاب الذي كنتم بإنذاره تذكذبون.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن أبان الله ـ عز وجل ـ للمشركين عجائب قدرته، فيما يشاهدونه من أحوال الطير، ووبَّخهم على ترك التأمل فيها، أردف بتوبيخهم على عبادتهم غيره ـ تعالى ـ، يبتغون منه نصراً ورزقاً، منكراً عليهم ما اعتقدوه، مبيناً لهم أنهم لا يصلون إلى ما أمَّلوه، وإلا فليبينوا هذا الناصر والمعين والرازق إذا هو أمسك رزقه.

أما وقد وضح الحق لذي عينين، فهم في لجاج وعناد بعد وضوح الحجة وتبين المحجة، ثم ضرب لهم مثلاً يبين حالي المشرك والموحد، فمثَّل حال الأول بحال من يمشي منحنياً إلى الأمام على وجهه، فلا يدري أين يسلك، ولاكيف يذهب، فيكون حائراً ضالاً، ومثَّل حال الثاني بحال من يمشي منتصب القامة على الطريق، فيرى ما أمامه ويهتدي إلى ما يريد.

ثم أعقب هذا بذكر الدلائل على تفرده ـ عز وجل ـ بالألوهية بذكر خلق الإنسان في الأرض، وإعطائه نعمة السمع والبصر، وأرشد إلى أن القليل من الناس شكور لهذه النعمة.

ثم أردف هذا بذكر سؤال المشركين للرسول ﷺ عن ميقات البعث

استهزاءً به، وإجابته إياهم بأن علمه عند الله ـ تعالى ـ وليس له من علمه شيء، وإنما هو نذير مبين، وذكر أنه حين تقوم القيامة ويعرف المشركون قرب وقوع ما كانوا ينكرون تعلو وجوههم غبرة ترهقها قترة، ويقال لهم: إن ما كنتم تستعجلون قد وقع ولا مردة له، فماذا أنتم فاعلون؟[1].

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : يقول الله ـ تعالى ـ للمشركين الذين عبدوا غيره، ويبتغون عندهم نصراً ورزقاً، منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أَمَّلُوه، فقال: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ أي: ليس لكم من دونه من وليٍّ ولا واقٍ ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أي: من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعد؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ـ عز وجل ـ وحده لا شريك له، أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال: ﴿بَل لَّجُّوا﴾ أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم، ﴿فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾، أي: في معاندةٍ واستكبارٍ ونفورٍ على إدبارهم عن الحق لايسمعون له ولا يتبعونه.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾، وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي منكبّاً على وجهه، أي يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك؟ ولا كيف يذهب؟ بل تائهٌ حائرٌ ضالٌّ، أهذا أهدى ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: على طريقٍ واضح بيِّن، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٥٧-١٥٨.

يمشي على صرط مستقيم مُفضٍ به إلى الجنة الفيحاء، والكافر يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣]. أزواجهم: أشباههم.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: يا رسول الله! قال: سُئل رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على رجليه قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**»(١).

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ ﴾، أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ ﴾، أي: العقول والإدراك، ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ ﴾، أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، أي: بثَّكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلاكم وأشكالكم وصوركم، ﴿ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾، أي: تُجمعون بعد التفرق والشتات، يجمعكم كما فرَّقكم، ويعيدكم كما بدأكم.

ثم قال ـ تعالى ـ مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ ﴾، أي: متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق، ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ـ عز وجل ـ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه، ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ ﴾ أي: وإنما عليَّ البلاغ وقد أديته إليكم.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: لما

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب يحشر الكافر على وجهه، حديث رقم: ٢٨٠٦.

قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً، لأن كل ما هو آت آت، وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به، ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧ ـ ٤٨].

ولهذا يُقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: تستعجلون[١].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: «قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ فجمع ـ سبحانه ـ بين النصر والرزق، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوه وينصره، ويجلب له منافعه برزقه، فلا بد له من ناصر ورازق، والله وحده هو الذي ينصر ويرزق، فهو الرازق ذو القوة المتين، ومن كمال فطنة العبد ومعرفته: أن يعلم أنه إذا مسه الله ـ تعالى ـ بسوء لم يرفعه عنه غيره، وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه[٢].

قال العلاَّمة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: الكافر يكب على معاصي الله ـ تعالى ـ في الدنيا فيحشره الله ـ تعالى ـ يوم القيامة على وجهه، وقيل: أراد بمن يمشي مكبّاً على وجهه من يحشر على وجهه إلى النار، وبمن يمشي سويّاً من يحشر على قدميه إلى الجنة[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٣٩٨ ـ ٤٠٠.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، ١/٢٨.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٤.

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عنى بذلك الذي يمشي مكبّاً على وجهه أباجهل، والذي يمشي سويّاً رسول الله ﷺ، وقيل: أبو بكر رضي الله عنه، وقيل: حمزة رضي الله عنه، وقيل: عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقيل: عكرمة رضي الله عنه، وقيل: هو عام في الكافر والمؤمن، أي: أن الكافر لا يدري أعلى حق هو أم على باطل، أي: أهذا الكافر أهدى؟ أو المسلم الذي يمشي سويّاً معتدلاً يبصر الطريق وهو الإسلام؟

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أكثر المفسرين على أن المعنى: فلما رأوه يعني العذاب، أي عذاب الأخرة، وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ: يعني عذاب بدر، وقيل: أي رأوا ما وُعِدُوا من الحشر قريباً منهم(١).

قال العلاَّمة الشيخ أحمد بن سليمان بن كمال باشا ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾: مُخوِّف ظاهر، وذلك أن بعثته عليه السلام كانت من أشراط الساعة، فكان ﷺ منذراً قالاً وحالاً، إلى ما أشار إليه بقوله ﷺ: «**أنا النذير العُريان**»»(٢)(٣).

رابعاً: أوجه القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا﴾ قرأ الجمهور ﴿أمَّن﴾ بتشديد الميم على إدغام ميم ﴿أم﴾ في ميم ﴿من﴾، وقرأ أبو طلحة بن مصرف بتخفيف الأولى وتثقيل الثانية(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٩١ـ ١٩٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث: ٦٤٦٢، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، حديث: ٢٢٨٣.

(٣) انظر: تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، ص٦١.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٣.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قرأ الجمهور ﴿تدَّعون﴾ بالتشديد، فهو إما من الدعاء كما قال الأكثر، أو من الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه، والمعنى: أنهم كانوا يدعون أنه لا بعث ولا حشر ولاجنة ولا نار. وقرأ قتادة وابن أبي إسحاق والضحاك ﴿تدْعون﴾ بالتخفيف، ومعناه ظاهر، قال قتادة وهو قولهم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ٤].

وقال الضحاك: هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قال النحاس: تدَّعون وتدْعون بمعنى واحد، كما تقول: قدر واقتدر، وغدا واغتدى[١].

خامساً: هداية الآيات:

١ ـ تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل، ولذا يرفض دعوة الحق.

٢ ـ تقرير حقيقة ثابتة وهي انحراف الكافر وضلاله، واستقامة المؤمن وهدايته.

٣ ـ وجوب الشكر لله ـ تعالى ـ على نعمة السمع والبصر والقلب وذلك بالإيمان والطاعة.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء[٢].

٥ ـ اضطرار العبد إلى من يدفع عنه عدوه وينصره، ويجلب له منافعه برزقه، وإثبات أن الله ـ تعالى ـ وحده هو الذي ينصر ويرزق عبده، وهذا يستلزم عبادة الله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له، واجتناب الإشراك به ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ص١٥١٤.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٤٠٤.

سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* في الآيات سجع في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠﴾، ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١﴾.

* الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لتشديد توبيخهم على الاستنصار بغير الله ـ عز وجل ـ أي: من هذا الحقير؟ الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم، متجاوزاً نصر الرحمن، أو ينصركم نصراً كائناً من دون نصره ـ تعالى ـ، أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله ـ عز وجل ـ[1].

* قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا﴾ من استفهامية بمعنى التحقير، أي: من هذا الجند؟ فهو أحقر من أن يعرف[2].

* في قوله تعالى: ﴿يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ استعارة تمثيلية، فقد شبَّه هيئة المشرك في تفرق أمره بين الآلهة، طلباً للذي ينفعه منها، والشاك في انتفاعه بها بهيئة حال السائر قاصداً أرضاً معينة، ليس لها طريق جادة، فهو يتتبع الطرق الملتوية، وتلتبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي توصل إلى مقصده، فيبقى حائراً يتعرف أقدام الناس وأخفاف الإبل، فيعلم بها أن الطريقة مسلوكة أو متروكة، بجامع التشتت والحيرة وعدم بلوغ الهدف.

وفيه استعارة تمثيلية أخرى حيث شبه حالة المتحير المتطلب للآثار في الأرض بهيئة حال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض.

* في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: استعارة تمثيلية، حيث شبَّه هيئة حال الذي آمن برب واحد واثق بنصره وتأييده، بهيئة حال الماشي في طريق الجادة الواضح، لا ينظر إلا إلى الاستقامة، فهو مستوٍ في سيره بجامع

(١) تفسير أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ٦/ ٢٨٠.

(٢) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٨١.

الاستقامة في كل أموره.

وفي الآيــة إيجاز حذف، فحذف وصف الطريــق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني.

* في قوله تعالى: ﴿أَهۡدَىٰٓ﴾ اســم تفضيل ليــس فيه مفاضلة، ففيه تهكم لأن الذي يمشي مكباً على وجهه لا شيء عنده من الاهتداء.

* فــي قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ كناية عن صفة الهداية والاستقامة، وفيه استعارة تصريحية في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ حيث شبه الدين الحق بالصراط المستقيم لتشابههما في أن كل منهما يوصل إلى المطلوب[1].

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص٨٩-٩٢.

الآيات: [٢٨ ـ ٣٠]:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الآيات: ٢٨ ـ ٣٠].

أولاً: معاني المفردات[1]:

رقم الآية	الكلمة	معناها
١	﴿أَرَءَيْتُمْ﴾	أخبروني
٢	﴿أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾	أماتني الله عز وجل ومن معي من المؤمنين كما تتمنون .
٢	﴿رَحِمَنَا﴾	لم يهلكنا وأخّر أجلنا وعافانا من عذابه.
	﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	ينجيهم أو يمنعهم من العذاب.
٢	﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾	إذا نزل العذاب فستعلمون أي الفريق منا ومنكم في ذهاب بعيد عن الحق
٢	﴿غَوْرًا﴾	ذاهباً في الأرض لا يُنال.
٣	﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾	جار وظاهر، سهل التناول بالأيدي والدلاء.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

روي أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك كما حكى الله ـ تعالى ـ عنهم في آية أخرى بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾

(١) انظر: معاني كلمات هذه الآيات في تفسير الجلالين للإمامين السيوطي والمحلي، والتفسير الميسر، إعداد: نخبة من العلماء، وكلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري.

[الفتح: ١٢]، فنزلت الآية، ثم أمره أن يقول لهم: إن هلاكي أو رحمتي لا تجيركم من عذاب الله، ثم أمره أن يقول لهم: إن غار ماؤكم في الأرض، ولم تصل إليه الدلاء، فمن يأتيكم بماء عذب زلال تشربونه؟[١].

ثالثاً: تفسير الآيات:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: خلِّصوا أنفسكم، فإنه لا مُنقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواءٌ عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الواقع بكم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، ثم قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا يُنال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد.

والغائر عكس النابع ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: نابع سائح جار على وجه الأرض، أي: لا يقدر على ذلك إلا الله ـ عز وجل ـ فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنة[٢].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/ ١٦١.

(٢) تفسير القرآن الكريم العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٠٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ يا معشر قريش: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الدلاء، وكان ماؤهم من بئرين: بئر زمزم، وبئر ميمون: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ أي: جار، قاله قتادة والضحاك، فلا بد لهم أن يقولوا: لا يأتينا به إلا الله، فقل لهم: لم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم...، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ أي: ظاهر تراه العيون فهو مفعول، وقيل: هو من مَعَنَ الماء أي: كثر، فهو على هذا فعيل.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً: أن المعنى فمن يأتيكم بماء عذب[1].

قال العلاَّمة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ أي: تشربون منه وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم، وهذا الاستفهام بمعنى النفي أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله ـ تعالى ـ[2].

وقال العلاَّمة النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر أن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون بأحد الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فنقلب إلى الجنة، أو نرحم بالنصر عليكم كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ مَنْ مجيركم ـ وأنتم كافرون ـ من عذاب لابد لكم منه؟

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ أي: جار يصل إليه من أراده، وتليت عند ملحد فقال: يأتي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ١٩٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي ص٨٧٨.

بالمعول، فذهب ماء عينه في تلك الليلة وعمي، وقيل: هو محمد بن ذكيا المتطبب[١].

وذكر مثل ذلك **العلامة الآلوسي** ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: «وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فلما سمع: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾، قال: تجيء به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينيه، نعوذ بالله ـ تعالى ـ من الجرأة على الله ـ جل جلاله ـ وآياته»[٢].

رابعاً: أوجه القراءات:

قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٩﴾، قرأ الكسائي: ﴿فسيعلمون﴾ بياء الغيبة، نظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن تُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾[٣].

خامساً: هداية الآيات:

١ ـ بيان ما كان عليه المشركون من عداوة لرسول الله ﷺ حتى تمنوا موته.

٢ ـ وجوب التوكل على الله ـ عز وجل ـ بعد الإيمان.

٣ ـ مشروعية الحِجاج لإحقاق الحق وإبطال الباطل[٤].

سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات:

* قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ولم يقل: (آمنا به وتوكلنا عليه) ليكون عطف جملة على جملة، من غير تقديم الجار والمجرور على الفعل الثاني، وذلك لأن الإيمان بالله ـ تعالى ـ واجب على كل أحد، وأما التوكل عليه فخاص بأوليائه، فقدَّم الجار والمجرور في التوكل عناية بأهله[٥].

---

(١) تفسير النسفي، النسفي، ص ١٢٦٥.

(٢) روح المعاني، الآلوسي، ٢٩/ ٣٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٩/ ٣٥.

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥/ ٤٠٥.

(٥) روض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان، ٢/ ٥١٠.

* في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾، استفهام انكاري؛ لأنهم يرون نفي رزق الله ـ تعالى ـ بالماء ولا يؤمنون به، وهذه الآية اختتمت بها السورة بتلميح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأول وهو الماء[١].

* قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ فيه إشارة إلى أن الماء فوق مقتضى طبعه أن يفور، فخروجه على وجه الأرض وظهوره بالقسر لطفاً من الله ـ تعالى ـ، فهو امتنان بالإحسان[٢].

* قوله تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ استفهام انكاري، لأنه لا يأتي بالماء إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وقد ختمت السورة الكريمة بهذه الآية التي تدل على من بيده ملكوت السماوات والأرض وقدرته على أن يخرج الماء الغائر في الأرض فيصبح ظاهراً فناسب ختام السورة افتتاحها حيث تفرد بملك السموات والأرض وقدرته على التصرف في ملكوته ـ عز وجل ـ[٣].

كما أن اختتام السورة بالتهديد بتسليط الموت على المعاندين العصاة، بسلب قوام الحياة الذي هو الماء، مناسب لافتتاح السورة بذكر الموت المخلوق كالحياة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾.

---

(١) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص١٠٥.

(٢) تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان باشا، ص ٦٤.

(٣) من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، ص ١٠٦.

الخـــاتـــــمة

الحمـــد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والســـلام على أشـــرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وســـيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذا ما وفقني الله ـ عز وجل ـ إليه في كتابة هذه الرســـالة التي أرجو مـــن الله ـ عـــز وجل ـ أن تكون خالصة لوجهه الكـــريم، وأن يتقبلها بمَنِّه وكرمه، وأن ينفع بـــها كاتبها، وقارئها، ومن أعان على نشرها، كما أسأله ـ عز وجل ـ أن يجعلنـــا هداة مهتدين بكتابه المجيد وسنة نبيه محمد ﷺ، وأن يغمرنا ببركات وفضائل ســـورة تبارك في الدنيا والآخرة، وأن يغفر لي ولوالديَّ وأهلي وذريتي ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمســـلمين والمسلمات، الأحياء منهـــم والأموات، وأن ينجينا من عـــذاب القبر وعذاب جهنم إنه غفور رحيم، جواد كريم، وهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

قـــال العماد الأصبهاني ـ رحمه الله تعالى ـ : «إني رأيت أنه لا يكتب إنســـان كتاباً في يومه إلا قال في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيْدَ هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكَانَ أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر».

وفي هذا المقام أقول: إن هذا الجهد العلمي المتواضع كأي جهد بشـــري يعتريه الخطأ والنقص، لذا أرجو ممن اطلع على هذه الرسالة إسداء النصح لي وتســـديدي حول ملحوظة هامة أو إضافة مفيـــدة، وأن يذكرني بدعوة صالحة، سائلاً المولـــى ـ عز وجل ـ أن يجزيهم خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الفهرس

المقدمة ٣
بين يدي السورة ٧
المبحث الأول: أسماء سورة الملك ١٤
المطلب الأول: أسماؤها التوقيفية ١٥
الاسم الأول: سورة الملك ١٥
الاسم الثاني: سورة تبارك ١٦
الاسم الثالث: سورة تبارك الذي بيده الملك ١٧
الاسم الرابع: سورة المنجية ١٨
الاسم الخامس: سورة المانعة ١٩
المطلب الثاني: أسماؤها الاجتهادية ٢٠
الاسم الأول: سورة تبارك الملك ٢٠
الاسم الثاني: سورة الواقية ٢٠
الاسم الثالث: سورة المجادلة ٢١
المبحث الثاني: فضائل سورة الملك ٢٣
المطلب الأول: الأحاديث النبوية الثابتة الواردة في فضل سورة الملك ٢٣
أ ـ فضائلها في القبر ٢٤
ب ـ فضائلها يوم القيامة ٢٤
ـ متى تُقرأ سورة تبارك ٢٦
المطلب الثاني: الأحاديث الضعيفة في فضل سورة الملك ٢٧
المبحث الثالث: عقيدة أهل السنة والجماعة في القبر، وأسباب عذاب القبر، والنجاة منه ٣٠

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في القبر ٣١
المطلب الثاني: تساؤلات حول عذاب القبر ٤٢
١ ـ هل العذاب أو النعيم في القبر دائم أو ينقطع؟ ٤٢
٢ ـ لو أن الرجل تمزق أوصالاً، وأكلته السباع وذرته الرياح، كيف يكون عذابه؟ وكيف يكون سؤاله؟ ٤٣
٣ ـ الميت يُدفن في قبر ضيق فكيف يُوَسَّعُ له مَدُّ البصر؟ ٤٣
٤ ـ نحن نرى الميت الكافر إذا حفرنا قبره بعد يوم أو يومين، نرى أضلاعه لم تختلف وتتداخل من الضيق؟ ٤٤
٥ ـ هل عذاب القبر على النفس أو على البدن؟ ٤٤
٦ ـ هل يسمع الأحياء عذاب القبر؟ ٤٤
٧ ـ هل يُفتن الصغار والمجانين في القبور؟ ٤٥
٨ ـ فتنة القبر هل هي قبل الدفن أم بعده؟ ٤٥
٩ ـ هل يُخفف العذاب عن المؤمن العاصي؟ ٤٥
١٠ ـ هل سؤال الميت في قبره حقيقي، وأنه يجلس في قبره ويناقش؟ ٤٦
المطلب الثالث: أسباب عذاب القبر ٤٧
القسم الأول: الأسباب المجملة ٤٧
القسم الثاني: الأسباب المفصلة ٤٨
١ـ الشرك بالله ـ تعالى ـ والكفر ٤٨
٢ ـ النفاق ٤٩
٣ ـ الإعراض عن ذكر الله ـ تعالى ـ ٥٠
٤ ـ السعي بين الناس بالنميمة ٥١
٥ ـ عدم الاستتار من البول ٥١
٦ ـ الغيبة ٥٢

٧ ـ أذى الناس باللسان ٥٣
٨ ـ الغلول ٥٣
٩ ـ إسبال الإزار خيلاء ٥٤
١٠ ـ الحبس في القبر بسبب الدَّين ٥٥
١١ـ النياحة على الميت ٥٦
١٢ ـ العمل الخبيث ٥٨
المطلب الرابع: أسباب النجاة من عذاب القبر وفتنته ٧٠
القسم الأول: الأسباب المجملة في النجاة من عذاب القبر ٧١
١ ـ محاسبة النفس وتجديد التوبة النصوح ٧١
٢ ـ تجنب الأسباب الموجبة لعذاب القبر ٧١
٣ ـ الاستقامة على طاعة الله ـ عز وجل ـ وفعل الصالحات ٧٢
القسم الثاني: الأسباب المفصلة في النجاة من عذاب القبر ٧٤
١ـ تحقيق التوحيد ٧٤
٢ ـ قراءة سورة الملك تمنع وتنجي من عذاب القبر ٧٩
٣ ـ الاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ من فتنة القبر ومن عذاب القبر ٨١
٤ ـ الشهادة في سبيل الله ـ تعالى ـ ٨١
٥ ـ الرباط في سبيل الله ـ تعالى ـ ٨٢
٦ ـ الموت بداء البطن (المبطون) ٨٤
٧ ـ الموت يوم الجمعة أوليلة الجمعة ٨٤
المطلب الخامس: نصيحة في الاستعداد للقبر ٨٥
المبحث الرابع: التفسير العام للسورة ٨٩
المنهج في تفسير السورة ٨٩
سورة الملك ٩١
الآيات: ١ ـ ٥ ..... ٩٣

أولاً: معاني المفردات ٩٣
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ٩٤
ثالثاً: تفسير الآيات ٩٥
رابعاً: أوجه القراءات ١٠٠
خامساً: هداية الآيات ١٠٠
سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١٠١
الآيات: ٦ ـ ١١ ..... ١٠٥
أولاً: معاني المفردات ١٠٥
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ١٠٦
ثالثاً: تفسير الآيات ١٠٧
رابعاً: أوجه القراءات ١١١
خامساً: هداية الآيات ١١١
سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١١٢
الآيات: ١٢ـ ١٥ ..... ١١٥
أولاً: معاني المفردات ١١٥
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ١١٥
ثالثاً: تفسير الآيات ١١٦
رابعاً: هداية الآيات ١٢٣
خامساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١٢٤
الأيات: ١٦ـ ١٩ ..... ١٢٧
أولاً: معاني المفردات ١٢٧
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ١٢٧
ثالثاً: تفسير الآيات ١٢٨
رابعاً: أوجه القراءات ١٣٠

خامساً: هداية الآيات ١٣١
سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١٣١
الآيات: ٢٠ ـ ٢٧ ..... ١٣٣
أولاً: معاني المفردات ١٣٣
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ١٣٤
ثالثاً: تفسير الآيات ١٣٥
رابعاً: أوجه القراءات ١٣٨
خامساً: هداية الآيات ١٣٩
سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١٤٠
الآيات: ٢٨ ـ ٣٠ ..... ١٤٢
أولاً: معاني المفردات ١٤٢
ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات ١٤٢
ثالثاً: تفسير الآيات ١٤٣
رابعاً: أوجه القراءات ١٤٥
خامساً: هداية الآيات ١٤٥
سادساً: الجوانب البلاغية في الآيات ١٤٥
الخاتمة ١٤٧
الفهرس ١٤٨